البتران

د. حيدر علي الأسدي

اسم المـــــؤلـــف	د. حيدر علي الأسدي
عنـــوان الكتـــاب	البتران
تصنيف الكتـــاب	رواية
تـــــصميم الغلاف	أحمد البياتي
تنقيـح وتـــــدقيق	كادر دار ومنشورات الخنساء
إخـــــــــراج فني	كادر دار ومنشورات الخنساء
الـــــنـــــاشـــــــر	دار ومنشورات الخنساء
الطبعـــة الأولـــــى	2026 م

رقم الإيداع الدولي ISBN

978-9922-5691-1-6

جميع الحقوق محفوظة: دار الخنساء للطباعة والنشر والتوزيع

لا يسمح بإصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون اخذ إذن خطي مسبق من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار ومنشورات الخنساء.

د. حيدر علي الأسدي

البتران

روايـــة

دار الخنساء
للطباعة والنشر والتوزيع

الإهداء

إلى ضحايا انفجار الألغام والقنابل المدفونة تحت الأرض

إلى اهالي قرية البتران.. لعلّ صوتكم يصل إلى الضمائر الحية

وإلى ذلك الطفل الذي كنته

اشتاق إليك ولماضيك.. الخالي من كل هذا الضجيج والأوجاع

وإلى الوجوه التي افتقدها.. اراكم في كل المرايا

وإلى الحبيبات اللواتي تجرعن مرارة الفقد

فقد الأحبة على جبهات الموت والحرب التي لا جدوى منها!

"أعطيت للمقتول، للمبتور، والأعمى .. بقايا سنبلة

من لم يمت جوعا وقهرا مات في بلد الحروب بقنبلة"

****

"المنتصرون في الحرب لا يربحون شيئاً سوى حق العيش في عالم مليء بالمقابر والدمار."

برتراند راسل

"ليست الحروبُ هي التي قتلتنا، بل تلك الأيامُ التي ستجيءُ بعد الحرب"

من المذكرات المفقودة للجندي المطوع (محسن إيڤا)

الفصل الاول

(1)

حين تدخل المدينة ، ستستنشق رائحة البترول والبارود والموت في كل أزقتها ، مدينة لاقت ما لم تلقه أي مدينة في العالم ، مدينة تغطي اجنحها الثروة والحروب ، لم تسترح يوماً ، فكلما خرجت من حرب دخلت في اختها،

في ظلال منازل تلك المدينة المتاخمة مع الجبهات الحدودية كان يعيش الجندي المطوع (محسن إيڤا) ويبدو ان (إيڤا) كانت لازمة لهذا الجندي المهووس بالكتابة، وتدوين المذكرات اليومية ، كل شغفه كان بتدوين مشاهداته يوميا ، واتلافها بعد ذلك ، لم يكن هذا الجندي سوياً ابدًا كان مولعًا بالوشوم ويكاد لا يمر أسبوع الا وهو يتناول الخمر المغشوش ما زال يحتفظ ببعض أشرطة الكاسيت هو ومجموعة من الجنود الهاربين والمسجونين في أحد سجون البصرة وهم يرددون أغاني عراقية يختلط فيها الشجن بالبلاهة.

بعد سنوات أنتهى الكابوس تغير كل شيء الا وجه الموت ما زال كما هو يلقنا مستبشراً نحن سكان هذه المدينة ، فهو ينام بين أحضان تلك المدينة ويشرب من مائها ويتناول رطبها اللذيذ.

في 1 نيسان 2012 نشر محسن إيڤا بعض ما يحتفظ به من ذاكرته من تدوينات عبر أحد المواقع الالكترونية العراقية وكرر الأمر في آيار من العام ذاته يبدو ان بعض التعليقات المحفزة كانت تعيد محسن إيڤا لذاكرته المعطوبة من الحروب فهو شارك في حربين وكانت وحدته العسكرية على الحدود العراقية الايرانية.

في 25 ايار تلقى محسن عبر بريده الالكتروني رسالة :

"مرحبا ، انا ساجدة حميد صاحبة دار نشر عربية وقرات ما كتبته من تدوينات ما رأيك لنلتقي او لنتحدث هنا؟ هل ما زالت ذاكرتك قوية عن الحرب بودي ان أطبع لك مقالات او مذكرات عن الحرب وما عانته مدينتك البصرة جراء تلك الحروب، ان اعجبتك الفكرة انتظر ردك بفارغ الصبر . تحياتي"

تردد كثيراً قبل ان يقبل الدعوة ، فهو لم يلج عالم الكتابة بطريقة محترفة ، كل ما في الامر انه يدون مشاهدته بطريقة كانت تعجب الجنود الذين يرافقونه في رحلة الموت المجاني ، فهم كانوا يقادون لحتف لم تختره عقولهم ولا قلوبهم ، انما رسم لهم منذ الصرخة الأولى في هذا البلد ، كلنا مشاريع موت وتضحية من أجل هذا البلد ، نعيش ويحيا الوطن ، كل هذه الشعارات كانت تمر أمام عيني محسن إيڤا وهو يقترض مبلغ الأجرة متجهاً الى وحدته العسكرية ، الأن هو قابع بين اربعة جدران ، في منزل لا يختلف كثيراً عن المصح العقلي، لا انيس له سوى جهاز الكمبيوتر الذي تسلمه من منظمة أجنبية كانت قد زارت المدينة في وقت سابق وقدمت هدايا لمن فقد أحد أعضائه جراء الحرب ، محسن إيڤا من فرط أصوات القنابل والصواريخ يكاد سمعه يخمد بالكامل؛ لكن الغريب في الامر كانت تأتيه لحظات يسمع فيها دبيب النمل ونقيط الحَب دون سابق انذار يعود سمعه للأنطفاء!

كان قبالة صورة شاخصة له مع مجموعة من الجنود المعلقة على الجدران المتهرئة في منزله حتى ان رطوبة المنزل تكاد تزكم الأنوف من فرط الرائحة ، فمحسن لا يزوره الا أحد اصدقائه القدامى من أيام العسكرية (عصام الاسود) ولا أعرف لما يطلقون عليه الاسود وبشرته

داكنة مثل كل بصري صهرته الشمس واعادة تكوين بنيته، في لحظة صمت سوداوية ، أسترجع شريط ذاكرته ، الصورة امامه للجنود المتقافزين مع إعلان حالة الانتصار، وشاشة الكمبيوتر تقبع هي الاخرى بالقرب من الصورة ، عيونه تدور ما بين الصورة وما بين ازرار الحاسوب ، أصابه اعياء حتى كاد يُغمى عليه من شدة القلق الذي ساوره من تلك الرسالة وهو الذي اقسم بان لا يدون أي شيء بعد انتهاء آخر حرب مر بها، ادار وجهه عن الصور وكانت شاشة الحاسوب هي الاخرى خلف ظهره تفحص بعض اشيائه وحقيبته الخاكية التي لا يزال يحتفظ بها ، تناول ورقة وقلم وأجهض دمعة مواربة كادت ان تنطلق لولا تسارع أنامله الى أزرار الحاسوب.

عادت عيناه للتحديق في الصورة

تغيرت ملامحه...وبدأ الشيب يتلاشى مثل الغيم...

عاد بذاكرته الى ايام الجحيم الاسود 1980

***

(2)

في الطريق الى المرآب المؤدي الى الجبهة ما زالت الوجوه تحتضن ذاكرتي ، امر بالطريق المتعرج من قريتي متجهاً الى الموت المؤجل ، اساق كما تساق الاغنام من الراعي لتقتات على بقايا النفايات، كانت المدينة في كل التحاق بالجبهة تودعني كما يودع الأهل ميتهم قبل ان يدفن بحفرة صغيرة في مقبرة وادي السلام، كلما التحق بالجبهة أحدق الى نفسي والعن جسدي واليوم الذي قررت فيه

الاستمرار، أبصق على يدي الموشوم فيها عبارة كتبت بالسخام (عاش القائد صدام حسين) كانت قد خلصتنا هذه العبارة من الرفيق جمال وهو يحوم حول منزلي لجر بقية اقاربي لمنزلق الانتماء لرفاقه في الحزب، كنت اتخيل ان النسر القابع على بدلتي يتحرك او يهم بالتحليق أحيانا لا اجده واتخيل انه قد سأم من البقاء مرابضا على كتفي مثل أي كتلة مادية لا قيمة لها في الحرب ،لم ادرك يومًا ان هذه الحرب ربما تنتهي بسلام دون ان يصاب احد أصدقائي بشظية او قطع بأحد أعضائه ، كنت أتصور ان ملك الموت يكره الجبهات والحرب ولا يقترب منها ولكن تغيرت قناعاتي عند اول هجوم في تلك الجبهة حينما جاءت شظية لتقطع كف يدي اليمنى ، أتذكر حينما أبلغوا خطيبتي آنذاك عن الحالة وقالوا لها انت مخيرة بين البقاء او الانفصال لأنه سيبقى مدى الدهر بيد واحدة وهذا يعني انك ستكونين يده اليمنى ، ترددت كثيرًا قبل ان تتخذ قرارها بجملة صادمة : لا يمكن ان أعيش مع انسان ناقص الأعضاء!

المضحك انه قبل إصابتي كنت أسمع صرخات صديقي (عبدالحميد) من أهالي بغداد وهو يصرخ من شدة اصابته وما ان وصلت اليه وجدته جثة هامدة على الأرض كان قد انقطع نفسه واستنزف دمه وسقى أرض المعركة بكل ما يملك من دماء والمضحك اني وجدت الجثة الهامدة وصوت أغنية وطنية عراقية آنذاك ما ان اقتربت حتى ادركت ان هذا الصوت صادر من راديو صغير موجود في جيب الجندي عبدالحميد، اللعنة كانت هذه اخر كلمات تدفعه للقتال قبل ان يسقط في الحرب ، عبدالحميد كان نقطة الفرح الوحيدة في الفوج كان يحكي لنا عن حكاياته الغريبة مع القطار الذي يقله الى موته المؤجل وكيف كان يهرب من التيتي لأنه لا يملك اجرة النقل كان دائما ما

يختبئ تحت المقاعد او يصعد أعلى القطار حتى انه حكى لنا قصة ذلك الجندي الذي سقط من اعلى القطار وهو يهرب من التيتي فاكمل القطار طريقه دون ان يلتفت لجثة الجندي وهي تهرس على السكك.

كنت دائما ما أشارك بنقل جثث الشهداء الى مدنهم ،جثث متراصة في ثلاجات الموتى، يتم تدقيقها من خلال قرص الهوية والنقل الى المستودعات الخاصة وسيارات الاكرام التي تحمل النعوش ومن ثم مراسيم التسليم مع متعلقاته الشخصية (الراديو الوحيد) هو كل ما يخص عبدالحميد ، كنت اسمع احدهم يصرخ راح عبدالحميد وكان اخر يحاول اسكاته ويقول له لا تقل عبدالحميد وتصمت قل الأسم كاملاً لأن هذه المدينة في كل زقاق ثمة عبدالحميد اخشى ان يسبب ذلك الصدمة للأمهات.

على خلاف عبدالحميد المرح كان هناك سعيد الحزين السوداوي وهو يسرد لنا حكايات البؤس في قريته البعيدة عن الجبهة وكان هذا الجندي كلما يجلس معنا في ليالي الحرب الكئيبة كان يختم حديثه بانه سيؤسر يوما ما ، كان يحمل معه بعض الذكريات من قريته : صورة طفولته ونجمته السينمائية المفضلة التي كان كلما سنحت له فرصة الاجازة ذهب الى السينما لمشاهدة أفلامها بعد ان يستدين مبلغ التذكرة، واجمل ما كنا ننتظره منه حين عودته الى الجبهة هو (كليجة) أمه فطعمها لا يقاوم او ربما لأننا في الجبهة لا نأكل الا الطعام الذي لا يصلح حتى للحيوانات فيكون أي طعام قادم من منازلنا هو بالنسبة لنا طعام من الجنة!

في ليلة ماطرة كانت الأجواء غريبة والسكوت يلف المكان تعرضنا لهجوم مباغت كان قد سقط فيه الكثير من جنودنا في اشتباك قريب

جدًا، انتهى الاشتباك عند وجه الفجر على غير العادة تفقدنا الجثث كان قد سقط منا الكثير الا جثة سعيد لم نعثر عليها حتى بعد أسبوع ، بدأت الروايات تنتشر هل تم اسر سعيد؟ هل ذهب طوعيًا مع الجنود الإيرانيين؟ هل خان سعيد بلده؟ أسئلة كثيرة، أستمرت حتى بعد انتهاء الحرب حيث تجددت قصة اختفاء جثة سعيد ، بعضهم قال شاهدته في ايران مع الاسرى واخرون قالوا انه أصبح من التوابين بينما أقسم أحدهم باغلظ الأيمان انه شاهده في أحدى البلدان الاوربية وكان قد بان عليه الترف والراحة وملامحه قد تغيرت ، المهم في الأمر ان سعيدًا لم نعثر على نهاية لقصته حتى اليوم، هو الوحيد الذي كان يدقق بما أكتب ويكتب لي الملحوظات رغم بؤسه وعدميته ، لم نعثر على جثة لتسليمها لأهله وحتى أهله بقوا سنوات على أمل عودته مع نظام تبادل الاسرى حتى هذا الامر انقطع عنهم ولم يقيموا مجلسًا للعزاء ، بقيت صورته ببذلته العسكرية تتوسط ديوانية المنزل كلما زارهم احد كرر السؤال الاتي : (ماكو خبر من سعيد؟) .

بالعودة الى الجبهة فأكاد أجزم اني أكثر من شاهد الموتى وأحصاهم، منذ بداية الحرب كانوا يتساقطون أمامي كنا لا ندقق كثيرًا بأسباب الحرب فمهما تعددت تلك الأسباب لا تبيح لاحد زهق الأرواح التي كرمها الله ، المنطقة الجغرافية وأهميتها ، الثروة النفطية ، صراع الهيمنة والسلطات ، الصراع على الجزر في مدخل الخليج العربي، الاشتباكات المتكررة الداخلية والخارجية ، وضع خط منتصف النهر في شط العرب لتخفيف هذا التوتر والتصاعد كلها لا تعنيني بقدر ما يعنيني اني فقدت كل أصدقائي جراء هذه الخلافات.

المعركة كانت بداياتها بقصف جوي متبادل ومن ثم إحتلال منطقة الشوش في ديسمبر 1980 واطلاق صواريخ ارض أرض سكود على ديزفول والأهواز ومن ثم إحتلال ميناء البكر العراقي لمدة 24 ساعة وقبلها مناورات سياسية وعسكرية قد فاقمت من حدة الصراع ، لتبدأ الحرب رسميا في سبتمبر 1980 ، نزاع حدودي ، مناوشات مسبقة وتبادل الاتهامات بالقصف ، والتغيرات السياسية في ايران كلها لم تكن سوى اسباب في الاعلام وعلى الورق النتيجة هي خسائر عند كلا الطرفين. ولأني من الجبهة العراقية فاعرف القصص من هنا أكثر ما أعرفه عن الجبهة المقابلة ولكن ادرك ان جنودهم كانوا يقاسون كما نقاسي وعوائلهم كانت تتألم كما كانت تفعل عوائلنا لان الحرب لعينة لا تبقي ولا تذر، الحرب ليل مستدام وحزن لا يترك الانسان.

كل ما في هذا البلد مسلسلات حروب لا تنتهي ألا بانتهاء قائميها وفناءهم من هذه المعمورة الشباب يساقون إلى حتفهم من كل حدب وصوب وأطفال يحفظون الموت على ظهر قلب لأنه اتيهم لا محالة يتربون على ارتشاف رائحة البارود والتشاجر بالعصي منذ بواكير صباهم، في زمن جند الجميع لحفظ إشكال الرصاص وأنواع الأسلحة المستوردة!!! ، لا حديث يعلو فوق حديث الموت ، شبح الحرب يخيم على ضفاف مخيلاتهم ، ضفة واحدة هي من تبحر بهم الى المجهول ، مآقي عيونهم تكتنز أسرار لا مجال للبوح فيها ، نواصيهم مترعة بالغموض، مدن تعيش على تشييع موتاها ، الحروب أوقفت النسل ، عدمت الزواج ، ونحرت شباب تفتح للتو، مدينة تخلو من الحدائق ، المياه بدأت تجف في أنهارها ، قاتل الله الحرب التي لا تعرف غير كيف تقتل الأخر بأسهل الطرق وابخسها! ، لا تكترث كم لديه من الأطفال ، او حال أم تنتظره او زوجة ترقب منه عودة ميمونة. الحرب

لا تعرف غير لغة الانتقام ، وغالبا لا يعرف الذين اشتركوا فيها ، لم قتلوا الجانب الأخر !!! وأي الأسباب التي تجعل الإنسان يزهق روح أخيه الإنسان؟؟ لا مجال لهذه الأسئلة في خلد الذين يتقمصون أقنعتهم وهم يرتجلون لحرب لا هوادة فيها ، السرادق تنتشر في كل حي من أحياء المدينة ، اليافطات السوداء تلفع المدينة بلونها وكأنها ليلة حالكة ، او شعر منسدل من أرملة على فقد حبيب ، تخربشه أناملها بجنون مفرط حروب متوالية! حصدت أرواح الكثير لكن قادتها لا يشبعون كطلاب المال يشربون دماء بني البشر ويتاجرون بلحمه على مائدتهم المستديرة ، كل شيء قابل للأكل والشرب لديهم !!! يلعبون بشعوبهم كما يُلعب بالكرة في ارض الملعب وتدحرج على عشبه، في مدينة تحولت فيما بعد لرمزية الموت (حروب، سرطانات، قنابل تحت الأرض) تصوروا ملك الموت ينتظرهم تحت الأرض، قنابل ومتفجرات مدفونة تحت الأرض.. تلك المدينة مالحة المياه والتي قيظ صيفها يهرب منه الجميع لكن ثمة سماء يتطلعون لها فكل يوم يندبون حظهم العاثر... سكان هذه المدينة طيبون حد السذاجة كرمهم يمتد إلى جغرافية البلد وثمة أحياء فقيرة تتوزع على ربوع المدينة وفي أحدها كان ثمة صحفي لا يملك من الأصدقاء إلا شخصًا معتوه أسمه فائز لكن هذا المعتوه كان رفيقه أينما حل حتى حينما سمع من ان الصحيفة المتواضعة جدا الواقعة بنايتها في مركز المدينة والتي يعمل بها الصحفي (عبد الله نديم) بأنها قررت إيفاده لتغطية أخبار الحرب... وعبدالله نديم هذا الوحيد من أصدقائي خارج الوسط العسكري!.

- الحرب ، يا الهي ؟ الحرب ؟

كيف توافق على تصوير الجثث ، الموتى ،القتل ، الحرب ، صراع الإنسان مع أخيه الأنسان! كان يردد ذلك بفزع وبصوت مرتبك وهو يوجه كلامه الى صديقه الصحفي (عبد الله نديم)

- ماذا تأكل أمي؟ زوجتي ؟ طفلي القادم بعد بضعة أيام ؟ وأنت تعرف جيدًا اني لا أفقه غير هذه المهنة ولا أقوى على عمل المشاق. بنبرة حزن وصوت وئيد أطلق أسطره الأخيرة بوجه صديقه المعتوه الذي يسكن بساحة وهيكل شبه مهجور بغرفة وحيده بنيت من الطين! تقع بالقرب من دار عبد الله حتى انه اذا أراد ان يقضي حاجته قصد الجامع الذي يقع على بعد 500 متر من غرفته هذا المعتوه كان يزج نفسه بأشياء لا يتوقع الآخرون ان يشغل معتوه نفسه بها، فهو يحاول ان يغوي بنات الحي بأنه يصلح أن يكون حبيبا لهن!!!
وكان سلواه في هذا بأنه يتدرب على تعلم اللغة الإنكليزية فهو يرطن ببعض المصطلحات التي سمعها من عبد الله ويعيد تركيبها بصورة فنطازية أمام بنات الحي عسى ان تعجب إحداهن به لكنما دون جدوى يكرر المشهد يوميًا حينما يتلصص عليهن وهن ذاهبات صباحًا الى مدارسهن ، ولا يخلو مرورهن من ضحكات متغنجة سخرية من هذا المعتوه الذي كان يظن إنهن يبتسمن له فهو لا يكل ولا يمل.أرتمى على فراشه وقد أنهكه سهر الليلة الماضية وبدأ يحدث نفسه :

:

Wyrre
were
war
werra
werso
werran
Werran
verwirren

ماذا يعني اختلاف اللغات فكلها حرب تؤدي الى قتل الأبرياء واسر الآخرين!! ، ماذا يعني حرب دفاعية هجومية أدغال صحراء خنادق جبال جوية ألغام مائية عصابات كيميائية نووية وماذا يتمخض عن الحرب غير القتل والأسرى، بدأ يكلم نفسه بصوت مرتفع شيئا فشيئا ، حتى شخص أمامه عبد الله بكامل هيئته وقد استعد ان يودعه لأنه ربما لن يراه بعد ألان.

اختنقت دمعة هاربة من هذا المعتوه الذي بدا عارفاً بكل تفاصيل الحرب للتو وهو يعدد أصنافها، ربما ان عبد الله ذات يوم في مشادة كلامية معه حول نفس الموضوع لمح من كلام هذا المعتوه انه كان أسير حرب سابق ربما لكنه يخفي هذا الأمر على عبد الله، بخاصة انه صديق ليس منذ الطفولة بل في مرحلة متأخرة من العمر، حزم عبد الله حقائبه وما يحتاجه أملًا ان ينتقل الى ضفة الحرب الأخرى وقبل ان يعانق صديقه المعتوه الذي استقال من تفاصيل حياته الماضية في هذه الغرفة الطينية ، همس المعتوه في إذنه بكلمة خرجت مبعثرة من فمه:

- الا الحرب .. .يا صاح ؟

رمقه عبد الله بنظرة خجولة فيها من الخسران الكثير والكلام الذي لا يقال ، قبل ان يطلق جملة وصلت حروفها متخبطة إلى المعتوه:

-أريدك ان تفكر بما قاله (وودرو ويلسون) عن الحرب : (هل هناك أي رجل، هل هناك أي امرأة، واسمحوا لي أن أقول هل هناك أي طفل لا يعرف ان بذور الحرب في العالم الحديث هي التنافس الصناعي التجاري) . لماذا اغفل السياسة برأيك يا صاح؟ هل السياسة غلاف داخلي لهذين الاثنين؟

ترك السؤال ملطخ بحيرة لذلك المعتوه الذي يسمونه معتوهاً لكنه في الآونة الأخيرة يقول كلام لا يقوله كبار العقلاء من سكان هذا الحي ..ربما في سره كتمان كبير لا يعرفه حتى عبد الله حمل معه كاميرته والة التسجيل خاصته وصورة فوتوغرافية تجمعه مع والدته وزوجته دون والده الذي آكلته أحدى الحروب السابقة! واستقل الحافلة التي سترمي به داخل معسكرات الحرب لكي يمارس دوره كمراسل حرب، هو بما يملك من فقر مدقع الا انه لم يمارس هذه الوظيفة من قبل رغم انه قرأ عشرات الروايات والقصص التي تسرد فيها يوميات مراسل حرب... الحافلة تسير وقلبه يسير بعيدا عن المدينة وأزقتها والمعتوه يلوح له من خلف نافذة شابها الغموض من شدة الاتساخ ففي الحرب حتى النوافذ لا يطالها التنظيف ولا تشرع كاملة... نسوة يزغردن لان الحافلة تحشر مجاميع من المراهقين المساقين للجبهة !! مضت ثلاث ساعات والحافلة لم تسام السير بهم صمت مهول يخيم على الركاب، الجميع هنا مرغمون على الصمت، وتنفيذ ما يأمر به ذلك المسؤول ذو

الشارب الكث والوجه الغليظ الذي يزمجر بهم بين فينة وأخرى ويلقي علـى عـاتقهم نصـائح الحـرب :
- إياكم والهروب من ارض المعركة ، لان هذا يعنـي موتكم مع كافة أفـراد عـوائلكم؟

حاول عبد الله أن يؤرشف بعض اللقطات من خلال النافذة او للركاب الذين ربما هذه ستكون طلتهم الأخيرة ، لكن ذلك المسؤول الذي يجلس في الكرسي الذي يجانب السائق كان ينهره كلما أراد التقاط صورة مبينًا له أن مهمته لم تبدأ ألا بأرض المعركة ..وكلما سمع عبد الله بكلمة معركة اهتز جسده وارتعدت مفاصله ، واسند رأسه الى النافذة مسترقا دمعة متحجرة في عينيه ، عبد الله لم يكن يوما مراسل حرب انه صحفي يهتم بالنشاطات الثقافية ،والمتابعات الفنية التي تقام في مدينته ، وهو مصور بارع ولا يدرك للان ما سبب اختيار الصحيفة التي وقع عليها، لهذه المهمة !!! وقبل ان يضع نظرته على الصورة التي يحملها معه ، جاء صوت أجش من ذلك المسؤول يأمرهم بالنزول، ربما وصلنا ، هكذا كان يقول عبد الله مع نفسه ، منطقة شبه صحراء ، من بعيد سواتر ، غرف مبنية مؤقتًا ، ثمة شجيرات صغيرة لم يدرك منظرها حتى عن كثب ، جنود ينتشرون في تلك الصحراء خلف السواتر، أسلحة ثقيلة، وخفيفة، صواريخ، مدافع ، كل شيء هنا ، يعني الموت، أنها الحرب ، الداخل فيها خسران قابلهم صاحب انف مدبب ببطن تتقدم الى الأمام وقد تطايرت من فمه عبارات الشتيمة لهم وهـو يسـتقبلهم:
- لماذا تأخرتم؟

- زحام السير سيدي.

رد بهدوء من قادهم لهذا المكان قبل ان يفرق الجنود ويوجههم إلى مكان القتال المقرر لهم.

- ابنوا لكم من هذا الطابوق غرفا تؤويكم من حرارة الشمس! كم رحيم صاحب الأنف المدبب هذا ، قالها أحدهم وهو يتصفح المكان بإمعان وخوف.

- كم أنت غبي ؟ اية رحمة تتكلم عنها؟

صفعه احدهم بهذه العبارة قبل أن يشتتهم صوته:
- تفرقوا.

خمسة أيام مضت ، والجنود يطلقون النار بلا توقف ، لا يعرفون أين تقع قذائفهم، وخمسة أخرى مضت وهم يستقبلون قذائف الجانب الأخر ، التي أصابت جزء منهم ، وعبد الله اتخذ من غرفة في زاوية تبعد قليلاً عن وطيس ساحة الحرب المقررة ، مسكناً له مع احد ما من يطلقون على أنفسهم قادة الحرب ، الذين يقودون الدفة من خلف الكواليس!!!وعبد الله حينما اعتاد على المكان بعد أيام ، عرف ان ثمة عوائل متعففة تسكن بالقرب من هذا المعسكر ، او جبهة الحرب ، عوائل تعودت الحروب ، قرر ان يذهب في جولة لتصويرهم ، سحب جسده خفية عن ناظري ذلك الذي يقود دفة الحرب ، من خلف الجدران سار مسافة ساعة ونصف الساعة واذا به في منتصف عوائل تسكن خيامُ تسعًا ربما عشرًا أفراد في خيمة واحدة أطفال عراة ونساء رسمت ملامحهن سنوات الألم شظف العيش يبان من طريقة عيشهم ويبدو

جليًا في تفاصيل حياتهم استقبلته نظرات النسوة بفزع غير معهود:

- صحفي ... صحفي!

قال في نفسه وهو يقترب أكثر

- الحمد لله أنهم قد سمعوا بأن ثمة صحافة في هذا البلد. بدأ الرجال يخرجون له من الخيام ، تجمعوا حوله ولم ينبس احدهم ببنت شفة قبل ان يبادرهم هو:
- هل تسمحون لي بالتقاط بعض الصور لكم
- وهل ستنشر صورنا في الصحف؟

احد الرجال بادره بغلظة . بينما يدير عبد الله كاميرته ويلتقط صورا مختلفة للمكان أدار وجهه نحو ذلك الرجل:
- أود الاحتفاظ بهذه الصور، للأرشيف!
تغيرت وجوه الجميع حينما سمعوا كلمة أرشيف ، وظن بعضهم ان هذا المصور سيرسل صورهم الى الجهات المسؤولة وبدورها ستطردهم من هذه الأرض ، ما السببُ الذي يجعل هؤلاء يسكنون أرضًا موحلةً بالحروب والدماء !!! هكذا ظل يتساءل عبد الله وهو يغادرهم بعد ان التقط عددًا كافيًا من الصور ولا سيما للنساء وهن يخبزن في تنور الطين الذي جانب خيمة سكناهم وعاد مرة أخرى لينزوي في غرفته البائسة التي تحوي زمزمية ماءٍ عسكرية ، راديو قديمًا ، أسلحة كلاشينكوف ففي الليل كان إطلاقُ قذائف الهاون لا يتوقفُ والأرض الفاصلة ملغمة ، في الصباح أيقظه ذاك المسؤول مبكراً بصياح جهوري:

- لديك واجب انهض .

- ما هو؟
قالها عبد الله وهو نصف نائم وقد غالبه نعاس وتعب الأمس بجفنين متثاقلين يلتقطان رتابة العالم من حوله رغم ان جسده رابضُ على الفراش ولكن ثمة عتمة تفصلُ روحه عن هذا الجسد:

- عليك ان تصور جنودنا وهو يقعون أسرى بأيدينا ، هيا ليس لدينا وقت لابد ان نغير ملابسهم ونجعلهم يرتدون ملابس الجنود الموتى من الطرف الأخر ، لابد أن نوهم القادة هناك ، بان ثمة أعداد كبيرة من العدو يقعون أسرى بأيدينا
- ولكن هذه خدعة!
قالها بهدوء عبد الله
- والحرب أيضا خدع !

أجابه المسؤول وهو يضع مسدسه تحت حزامه ويومئ الى عبد الله بالتحرك . وفي ساعة متأخرة من اليوم نفسه جلس عبد الله يكتب رسائله لأول مرة من هذا المكان عسى ان تصل الى أهله لأنه عرف ان ثمة جنديًا ينقل الرسائل ، فأمسك قلمه وأخذ ورقة وبدأ يكتب:
(أمي الغالية ، حبيبتي خلود ، انا بخير لكن رائحة البارود هنا تزكم الأنف ، ودوي الانفجارات بات يسيطر على مسمعي حتى كأني أتخيل كل صوت أسمعه هو انفجارًا).
وقد ارفق برسالته صورة فوتوغرافية له على ساتر الحرب يمسك فيها بندقية بدلًا من قلمه ولكن طريقة أمساكه البندقية طمأنت أمه لأنها لا

تدل على انه محترف بل استعارها للصورة وحسب.
وبعد أسبوع كامل عاود الكرة مرة أخرى وقد جلس وحيدا يخط بقلمه الذي يدون مذكراته ومشاهداته عن الحرب : (كم أنا مشتاق إليكم بدأت أسأمُ من هذه الوظيفة فقد تماهيت مع أفعال الجنود حتى صرت واحدًا منهم وانصرفت عن حب وظيفتي الأساسية وبدأت أتكيف مع الحرب التي أكره كما اكرهُ مجرمًا يضع رصاصة في رأس طفلا بريء أمام عيني!)

وقد صاحب الرسالة صورة أخرى ولكن هذه المرة في ملابسه المدنية وقد تجمع حوله الجنود يلوحون بعلامات النصر ، فالجنود هنا نسوا أنفسهم وانقطعوا عن العالم ، المؤونة التي تصلهم لا تسد الرمق اليومي، قطع خبز يابسة كالحجارة، وطعام لا يصلح للاستهلاك البشري ، احدهم ترك زوجته حاملا بطفلها الأول ، الأخر ترك خطيبته بعد أسبوع من خطبتهما ، وأخر جر الى ساحات الحرب في اليوم الثاني من وفاة والدته وأسوأهم من سُحب من تلابيبه في ليلة زفافه ومن حضن زوجته ، أحد هؤلاء الجنود يتكلم بحسره وهو ينث دخان سيجارته:
- لقد جاءني قرار الانفصال الى الجبهة والدها قد دبر ذلك ..انا أعرفه انه يكره الحرب ويكرهني ويرى ان من يخوض الحرب هو ميت سواء أقتل او عاد منها سالماً!
تجمع الجنود وبدأ كلا منهما يفصح عما في داخله وكأنها الليلة الأخيرة التي تلمهم بهذا المكان الدنيء ، حتى أنهم ضحكوا بشراهة ليقول لهم احدهم:
- عسى ان يكون ضحك خير !

واخذوا يتجاذبون أطراف الحديث ، قال أحد الجالسين معهم:
- هذه الحرب وبشاعتها لا تنفك تورث الحسرة لنا وتنتزع الرحمة من قلوبنـــا!
علق ثانٍ:
- الحب يموت وهذه الحرب لا تموت !

وبدأوا يتخذون من ذلك الحديث ذريعة ليبقوا حتى أول الصباح تزجية للوقت ، وكل خمس دقائق يرمي أحدهم بصره ويعود أدراجه فهم يتواشجون مع معتقاتهم، هدوء مهول خيم على المكان ، ضحكاتهم المتطايرة توقفت، أصوات الجنود في الجانب الأخر بدأت تعلو صراخ يأتيهم ..من بعيد:
- طائرات ، طائرات ، طائرات
غارة جوية أرهقت قواهم ، وأنهكت الجنود المرابطين عند نواصي الجبهة، قصفت كل الأمكنة هنا ، شتت جمعهم ، بدأ الوعي يغيب عن الجنود ، أشلاء مبعثرة ، يد، قدم، رأس ، الغبار أرتفع ليحجب بصرهم، صراخ ، وظلام ، أصبح المكان كارثيًا بعد لحظات من القصف المتواصل ، وشربت الأرض دماءهم، .وبعد أسبوع من الحادثة وصلت رسالة ملفوفة بعلم البلاد ولكنها غريبة هذه المرة من اتى بها تقله سيارة حديثة لا تبدوا كأنها سيارة أجرة ، صندوق مع الرسالة فيه بضع أشياء : الةُ تسجيل ، كاميرا فوتوغرافية ، خاتم زواج.. والرسالة التي جاء فيها توضح ان جميع الموتى قد عثر على جثثهم الا عبد الله فقد تلاشى وذاب جسده كما يذوب الثلج في الماء الساخن !!! أمه كعادتها حينما تستقبل أخبار فاجعة فيرتجف جسدها خارا الى الأرض، فقد تجمد الزمن في عينيها وهي تشاهد سنوات تربيتها تنفرط امامها كحبات مسبحة داستها سرفات الحرب وشعرت

ان روح ابنها تطايرت كأوراق الأشجار في الخريف فكادت ان تهوي مثل الجدران التي رضخت للحرب طوعًا، وكانت تحاول التماسك مكابرة غابت عن وعيها ربما أسبوعًا كاملاً اما خلود فغسلت خديها بدموع ساخنة وصرخة أيقظت جميع سكان الدور المجاورة:

-عبد الله!

كانت صرخة بسنوات من الحياة بحلوها ومرها! قالتها وهي تشق ثوبها قبل ان تلفها النسوة ويرمن بها داخل دارها ، وصديقه المعتوه لم يصدق الخبر في بادئ الأمر ، أصر ان يذهب إلى مكان القصف فمنعه سكان المدينة بشدة:

- هذا مجنون دعوا الحرب تأكله!

قالها أحدهم درءا للخلاف الذي نشب بينهم وبين عائلة عبد الله التي تأبى ان تقيم العزاء لعبد الله وأهل المدينة اختلفت آراءهم :

- مفقود

- أسير

- قتل

- هرب

- لم يذهب أصلاً

بعد أسبوعين ذهبت زوجته بشريط التصوير الى مصور المدينة ليطبع الصور كلها وعمدت بجهاز التسجيل الى المعتوه لكي يعلمها طريقة

عمله كانت لديها رغبة جامحة بان تسمع ما فيه من أحاديث وحينما طبع الفيلم كانت أغلب الصور تذكارية للجنود ، يتعانقون ..يضحكون، يلوحون بعلامات النصر ! وجزء كبير صورٌ تم التقاطها بوقت سابق فهو حمل معه كاميرا محشوة مسبقًا.. وجهاز التسجيل كان يحوي عبارات مقتضبة لأحاديث الجنود الى عوائلهم ، زوجاتهم ، حبيباتهم ، سب وشتم الجنود للحرب ، والقائمين عليها كل هذا لم يكن ذا اثر واضح يُمكنُ خلود من فهم مصير عبد الله مرت سنة كاملة على الحادثة وكبر عبد الله الصغير وما زالت الحرب قائمة وتحصد شباب المدينة الواحد تلو الأخر وقد سمعت خلود من ذلك المعتوه ان الصحيفة أرسلت صحفيا أخر الى الجبهة فعرفت حينها ان غاية الحرب هي ان تأكل الأخضر واليابس ولا تدع حيًا على الإطلاق ، سيما الداخلين فيها، تلك الحرب التي تشتعل من اجل مومسٍ او بضعة أمتار أو لترات نفط تُذكي نار الحرب كما تشعل المواقد، ويبدو انه كان مصيبًا الى أبعد حدٍ ذلك الذي وصف البترول بأنه (غائط الشيطان)!

(كل مسببات الحرب تحت نعلي الممزق هذا) هكذا بقي يردد المعتوه في الأزقة والأحياء منذ فقده لصديقه الوحيد ..وكان بين لحظة وأخرى يصرخ:

- الحرب ، وحش ، طنطل ، شبح جوعان ، ابتلع عبد الله (ومصمص أعظامه)

بينما خلود بثوبها الأسود المهزوم من سخرية الزمان ومهازل الانسان، لم تزل تعطف عليه بكسرة خبز وقدح شاي كل صباح تجده جالسا يردد هذه العبارات رغم ان ام عبد الله كانت تنهرها بعصبية:

-عبد الله لم يمت ، انتظري الباب ، انتظري طرقاته ، جهزي الحمام

لـه ، حتمـا سـيأتي ، نعـم سـيأتي!
تردد هذه العبارة كلما نشب خلافًا مع زوجة عبد الله بسبب ملامسة أشيائه او تذكره وبقت أمه عينا على الباب وأخرى تراقب بندول الساعة وهو يتحرك، هذه السنة العاشرة كبر عبد الله الصغير وكبرت معه طموحاته في ان يصبح صحفيًا بارعًا واختفى المعتوه فجأة ، قيل انه قتل برصاصة طائشة وقيل انه رمى بنفسه من أعلى الجسر ، بينما ما زالت أم عبد الله تنتظر يدًا تطرقُ الباب علها تسمع صوته مجدداً او تكحلُ عينيها برؤيته ، هذه قصة رفيقي عبدالله الوحيد الذي كنت التقيه في إجازتي، الان سلواي ذلك المجنون الذي يبدو انه ليس مجنونًا بالمعنى الدقيق لان الروايات كانت تحوم حوله هو الاخر قيل انه فعل ذلك للتهرب من الخدمة العسكرية والجبهة وقيل ان حبيبتهُ هجرتهُ فاصبح مجنونًا وهناك رواية ثالثة قالت عنه انه تلقى ضربة موجعة على رأسه من أحد الرفاق في مدينته بعد ان رفض الاشتراك في مسيرة جماهيرية مؤيدة لقائدهم الأوحد!.

- اجو... اجو ،اجوكم ،راح يجونكم

كانت عبارة المعتوه هذه كفيلةً بإدخال الرعب في قلوب جميع سكان البتران ولم يتجرأ أحدٌ يومًا على أن يسأله عمّن هم الذين سيأتون!

***

(3)

كانت ايران تسمى طلعاتها العسكرية بأسماء دينية (مسلم بن عقيل) (رمضان) (فاطمة الزهراء) (بيت المقدس) (فتح) فعملية فاطمة الزهراء نُفذت في منطقة الشوش والفتح في اتجاه ديزفول –الشوش –

وشارك بها لواء مظلات وكتيبة صاعقة، استعادت القوات الايرانية اقليم خوزستان من القوات العراقية وحررت مدينة خرمشهر ، المضحك في الأمر ان بعض الاشتباكات القريبة التي حصلت بين الجنود العراقيين والإيرانيين كان كلا الطرفين يهتف فيها : (يا علي، يا حسين) حتى ان محسن قد قايض تربة كربلائية بخاتمٍ مصنوعٍ من الفضة ومطعمٍ بحجر الفيروز النيشابوري الأزرق، كان كلا الطرفين يشعر أنه الرابح في هذه المقايضة!

العملية (رمضان) كان الهدف منها الاستيلاء على مدينة البصرة لاحتلال منطقة بترولية مهمة وكانت عبر محاور ثلاثة اتجاه الشمال الشرقي وشرق البصرة والاختراق من منطقة الشلامچة وصولًا الى عبور شط العرب ومحاصرة البصرة.

ولكن العراق كان قد انشأ خطوطا دفاعية شرق طريق بصرة/ بغداد مقسمة بين الفيلق الرابع الذي يغطي شمالي القرنة والفيلق الثالث الذي يغطي الجزء الجنوبي.

تعرضت البصرة خلال الحرب العراقية الايرانية بفعل موقعها القريب من الاحداث وشط العرب لتدمير كبير على المستويين العسكري والاقتصادي وكانت تخضعُ الى الحصار بين فترة واخرى ولا سيما ما جرى في الفاو والمعارك الضارية التي راح ضحيتها الكثير من الخسائر البشرية قبل المادية فضحايا الحرب ليسوا فقط الجنود الذين تعرضوا للأسر او القتل بل ايضًا اسرهم التي عانت بسبب غياب معيلها او فقده. ثمة الالاف من الجنود عادوا بنصف عقل ، واخرون عادوا ووجدوا زوجاتهم بنصف عقل، واولادهم تركوا المدارس ولازموا الوظائف الحقيرة من اجل لقمة خبز تسد انكسارهم النفسي

والاقسى تلك العوائل التي تنتظر المجهول ، غاب عنهم أولادهم ولم يُدونوا في سجلات الشهداء فقدوا لسنوات طويلة بعضهم عاد بنصف عقل وآخرون مازال مصيرهم مجهولًا، الاسرى تلقوا معاملة قاسية هناك واجبروا على أشياء لم يكونوا يؤمنون بها ، تعامل فظ وقاسٍ، طعام شحيحُ، كانت تأتي وجبة واحدة بدلا من ثلاث ، حتى الاستحمام كان بصعوبة حتى وصل الامر الى ان كل أربعة اشخاص ينامون في سرير واحد وبعضهم كانوا ينامون على الأرض!

لا أنسى عملية كربلاء-5 (حصار البصرة) كانت في 1987 بالتحديد منتصف ليل 8 يناير كانت المعركة اشبه بمشهد سينمائي الاف الجنود تطاحنوا وهجوم مدعوم بطائرات واسلحة ثقيلة وسقوط العديد من الطائرات وتعثر الدبابات وطلعات جوية مستمرة وتدمير مركبات مدرعة انتهت بفقدان 50 الف ايراني و10 الاف عراقي فقط بحلول 16 يناير!

لم يكن هذا الفصل الأخير من مغامرة القائد الارعن وهو يقود جنوده الى موت مجاني رغم الأخطاء الواردة من كلا الطرفين في التعاطي مع الوضع فقد كانت تجمعهم قواسم مشتركة في الدين والجغرافية لم تكن حائلًا دون جر شعبيهما الى هذه الحرب التي لا جدوى ولا طائل منها.

في فجر 2 أغسطس 1990 باغت أكبر داعميه في حربه مع ايران ودخل الكويت عنوة بطريقة غريبة ودون سابق انذار حتى ان الكويتيين انفسهم تفاجئوا بدخول القوات العراقية لأراضيهم بسهولة مطلقة ليعلن عن ضم الكويت لتكون المحافظة رقم 19 في العراق وكانت الأسباب كثيرة أبرزها الخلافات على اتهام الكويت بسحب النفط من الحقل الحدودي ضمن الجانب العراقي واتهام الكويت بزيادة

انتاج النفط وتحاوز الحصص المقررة واحداث ذلك ضررًا بالاقتصاد العراقي ناهيك عن الديون المتراكمة على العراق وأسباب اخرى تتعلق بتصريحات بعض الكويتيين ضد نساء العراق والتهمة الأخيرة حركت الجنود عاطفيًا أكثر من الاسباب الاقتصادية ، اللعنة على النفط كان ومازال سببا لكل مأساتنا وحروبنا ، وجرى ما جرى من فضائع ونهب للكويت من الجنود صرنا ندفع ثمن هذا لسنوات طويلة وحتى اللحظة ، لتأتي قوات التحالف الدولية بقيادة امريكا بشن عملية عاصفة الصحراء في يناير 1991 لتحرير الكويت وانسحاب القوات العراقية في فبراير 1991.

(4)

يقول محسن إيڤا كنت ووالدي ممن دخلوا الكويت آنذاك، وبعد تعرضنا لقصف قاسٍ من الطائرات الامريكية ومن ساندها في المنطقة، مات الاف من جنودنا أتذكر أنى مشيت من الكويت عائدا الى البصرة وفي طريقي اشاهد الجثث تنتشر على الطرقات حتى ان السيارات كانت تجد صعوبة بالغة في قطع الطريق والسير قدمًا لان الشوارع كانت مملوءة بجثث الجنود عدت وابي سالمين من هذه المحرقة الا اننا فقدنا الكثير من الأحبة.

ما زلت احتفظ ببعض الأشياء التي جلبتها من الكويت ، وبعض أشياء أخرى اشتريتها من جارتنا الدلالة (سعاد) كانت تذهب الى الكويت لتجلب أغراضًا لم نكن نحلم بها في مطلع التسعينات لأننا كنا تحت خط الفقر تقريبًا، وكانت تبيع للأهالي في مدينتنا تلك الأشياء وتفعل ذلك

بمساعدة احد الضباط في الجيش العراقي مقابل نسبة لـه من الأربـاح، اتـذكر ان الجنـود العراقيين أحرقـوا آبـار النفط الكويتيـة أواخـر فبرايـر 1991 قبل الانسحاب التام من الكويت حيث دمرت قرابـةُ 700 بئرٍ بطريقـة التفجيـر لتتحـول السماء الـى غيمـة سـوداء فـي عمـوم المنطقـة وهو الامر الذي ساهم بحدوث مشاكل بيئية وتلـوث فـي الجـو. المشكلة الأكبـر أن بعـض الجنـود العـراقيين كـانوا مضـطرين لحمايـة العوائـل الكويتية المتبقية لان ما يجمعهم صلة القرابة والنسب فاغلب العراقيين كانوا يبادلون الكويتيين بصلات قرابة ونسابة ممتدة لسنوات وتجمعهم قبائل واحدة فمن السخرية ان يقتحم جندي عراقي أحد المنـازل ليرى خالتـه مـثلا هـي صـاحبة ذلـك المنـزل! فيضـطر لحمايتـه مـن السـرقة والاعتـداء وهنـا كانـت المشـاعر متناقضـة بـين غضـب عراقـي اتجـاه الشعب الكويتي وبين صلات دم تجمعهم ، اللعنـة علـى الحـرب التـي لا تبقي ولا تذر!.

غادرنـا الكويـت وتركنـا خلفنـا الاف الاسـرى قبـل الانسـحاب القهـري وبعـدها عـدنا الـى بدايـة نقطـة الشـروع بـالألم الحقيقـي والحصـار الاقتصادي بعد ان انهـارت قيمـة العملـة ودفـع ذلـك العديـد مـن العوائـل لبيع ممتلكاتها وربما شرفها لتأمين الغذاء!

يقول محسن إيڤا كنت أتذكر ذلك اليوم المأساوي حينمـا عدت ووجدت امـي تطـرق الأبـواب مـن اجـل ملعقـة حليـب واحـدة تسـد بهـا صـرخات أخي (بزر الگعدة) وقد تملكه الجوع فمنذ ثلاثـة أيـام لـم يـذق شـيئًا لان زوجها وأبنها الكبير في حرب لا هوادة فيها ، وبناتهـا الأربـع لا حـول لهن ولا قوة ، وحتى شبابيك البيت الأربعـة لـم يتبـق منهـا سـوى شـباكٍ واحدٍ والأبواب لم يبق منها الا البابُ الخارجي، كانت قد باعتها جميعاً

مـن أجـل ان تـدس الطعـام فـي أفـواه بناتهـا الأربـع وطفلهـا الرضـيع لتخرس معدتهم ولتسكت وعثاء مسبغتهم! مات هذا الأخير بسبب سوء التغذية الحاد ونقص الدواء وقيل في تشخيص سبب الموت كان مرض الملاريا فمن لم يمت في الحرب برصاصة او صاروخ مات بـالمرض او شـدة الجـوع والقهـر، امـا البنـات فتـزوجن خـارج القريـة دون ان يرتدين فستان الزفاف حتى ان محسنًا لم يحضر زفاف أغلبهن وأشهر فاصـلة قليلـة وجـد محسـن نفسـه بعـدها وحيـدًا، اللعنـة علـى الحـرب الوضيعة التي تضيع فيها كل القيم والمعايير...وتظهر لنا الوجه القبيح للحياة.

ما زلت أتذكر ان المجنون صديقي أضيف له اخر من مدينتي عماد!

قلت لأحدى أخواتي ما قصته ؟

- ماتت أمه بيده وبين أحضانه! فقد عقله بالحال لم ينبس ببنت شفة الا بعد شهرين..

في سني الحرب الأولـى كـان هذا يهوى اقتنـاء سـاعات المـوتى. تجمد عقله يوم رحلت أمه ، انفرطت الحكمة فيه كما تنفرط حبات المسبحة ، كان يجلس يوميا على عتبة داره القديمة ويرتدي معطفًا شتائيًا في قيظ الصيف، وفي عينيه ثمة حكاية مفجعة عن رحيل امه ، وكأن كلما سألهُ صبية القرية عن جدوى انتظاره الذي لا طائل منه كان يقول بعينين دامعتين وكلمات متعثرة:

- راح تجـي أمـي مـن السـوك وتجيبلـي حاجـة ، حاجـة ، هـي كالـت انتظرني.

توقف الزمن لديه تمامًا وسجل الحساب هو الاخر أغلق على اخر صفحات سيرته يقول بعض الرجال في المدينة انه ادعى الجنون هربا من الحرب.

انقطع الكويتيون عن البصرة، بعد ان كانوا يقضون بعض أيام الصيف فيها وكانوا كل ليلة جمعة يرتادون نواديها الليلية غابوا عن أراضيهم في ابي الخصيب والفاو، لم تعد البصرة امنة لهم كما كانت، كنت أتكلم بذلك مع اختي الصغرى وإذ بطرقات باب قلقة وخائفة، هرعت الى الباب وإذ بـ (احمد المكصوص ذانه) هكذا عرف فيما بعد ، لان احمد هذا كان هاربا من الخدمة الإلزامية وكان يتعرض لمداهمات مستمرة حتى قبض عليه بعد قرار قص صيوان الاذن سنة 1994 فعرف فيما بعد بحياته احمد المكصوص ذانه ، قال لي:

-رحمة لأهلك بس اعبر من سطحكم. اجتازني دون موافقة مني مثل طائر الكرسوع هرع الى السطح ومن ثم تقافز مثل الكنغر الى سطوح الجيران فارًا من رفيق جميل وعبدالباسط اللذين كانا أكثر من يكتب التقارير الحزبية ضد أبناء المنطقة حتى اننا بعد أحداث 2003 وجدنا أنهما قد كتبا حتى على من يجلس على كرسي متحرك ومعاق حرب بحجة التجمع والحديث بالدين والسياسة!

ثمة ايام لا اود تذكرها تتعلق بما جرى في حفر الباطن ،مجزرة طريق الموت ، كان الالاف من الجنود المكلفين انسحبوا بطريقة عشوائية فتعرضوا لقصف جوي مكثف عبر طرق مفتوحة وفي العراء تحول الانسحاب خلالها الى محرقة للجنود وخلف الأف الضحايا من الجنود تم دفن الجنود بالكامل في حفر الباطن.

كان قد عانى الجنود في الصحراء القاسية وتاه بعضهم يقول محسن إيڤا ان أحد هؤلاء الجنود العائدين من الموت والاسر قد قص لي روايتهم في التيه المروع بهذه الصحراء وهم يدورون في فلك واحد... قال لي اننا من شدة العطش كنا نطلب ان يبول أحدنا حتى نشرب بوله! كان ثمة تيهان لعدد من الجنود المقاتلين في الصحراء وسط الجوع واستذكار العائلة نتيجة الحرب التي تدمر كل شيء، صحراء قاحلة كنا جنودا بزينا العسكري نسير وسط هذه الصحراء كنا نتغطى بالرمال وكل شخص فينا يحفر حفرة لينام في جوفها ولا يعرف هل سيستيقظ ام لا في اليوم الثاني:

الأول : ادري وين صار الشارع العام

الثاني : والله ماعرف ماعتقد هذا الاتجاه الي جاي نمشي بيه صحيح لو يودينا للشارع العام.

الثالث: يمكن تهنا ياولد

الأول : فال الله ولا فالك.

الثاني : شكد عندكم ماي ياولد

((يتفحصون الزمزمية))

الرابع: ولا قطرة:

الأول : شوية كلش ما يكفي شربة واحدة

الثالث : وانا هم .

((يمضون بالسير في الوعور الصحراوية)

الثاني : اويلي متنا حر وجوع.

الرابع: انا، هلكت متت جوع يا ولد ما عندكم شيء؟

الأول : أربع أيام ما ماكل لكمة!

الأول : هسة مال صينية مطبك لو سمج مسكوف ، الله احلى سمج مسكوف الي تسوي الحجية،

الثاني: انا مشتهي كليجة ، من ايد ام حمودي ، الله بس ارجع للبيت اكلها تسويلي صينة كليجة لا والله صينيتين.

((يلتفت للثالث))

الثاني للثالث: اشو انت صافن شبيك.

((يظهر الثالث وهو يمسك صورة خطيبته ويقول))

-افكر بسارة ، خاف ما اشوفها بعد؟

الثاني : كول يالله ، نطلع من هذه الشدة ونفرح بعرسك ، وداعتك الا اركص بعرسك واذب لحم ((يقوم ليرقص بتهور ومجون فيضحكون جميعًا ضحكة ساخرة من كل شيء))

- الأول : اكلكم ياولد ما تباوعون بلكي اكو بشر ناس ، حيوان أي شيء متعدي منا منا ، ما معقولة هاي الصحراء ما بيها بشر.

الثالث : وداعتك كلشي ماكو ، السمة والكاع بس.

الثاني: احمد عندك رصاص خاف تهاجمنا ذيابه.

احمد(الرابع) : عندي نص مخزن ، وداعتك حتى الذيب من يشوفنا يبجي على حالنا وما ياكلنا (بسخرية)

(يضحك الجميع) .

الأول : انا متت بعد ماكدر امشي خطوة

الرابع : يمعود كوم ما بقى شيء.

الأول : ماكدر جاي اكولك بطني راح تموتني من الألم ، ميت جوع وعطش.

فجأة اختفى احدنا ولا اريد ان أقول لك يا محسن كيف اختفى رابعنا:

- الثاني للثالث (شد حيلك ما بقى شيء ، شباب ما بقى شيء انا احس راح نطلع من هذه الصحراء ماراح نبقى هنا ، اي صدكوني انا متفائل،)

الثالث: بس انا تعبت كلش واحس راسي راح ينفجر ومعدتي تحركني كلش ، شفايفي ذبلت.

الرابع : تذكروا أهلنا ينتظرونا.

الثالث: منو يكول ينتظرونا هسة سوولنا فاتحة واخذوا عزانا هسة كل الجنود لو رجعوا لأهلهم لو زفوهم للنجف.

الرابع: تحملوا يا ولد ما بقى شيء.

صرنا واحدا يكول للثاني : اصبر ما بقى شيء ، وداعتك انا عندي إحساس راح نوصل ، والثاني نايم على ظهره محمول على اعواد الخشب من بقايا صندوق كدس عتاد الحرب وشبه غائب عن الوعي اصبر امجد أكيد حلمك يخليك تقوى وتصبر انت موكتلي تريد تكمل جامعة مسائي وتصير مهندس لان هذا حلمك من الطفولة .

يبدو جندي واحد فقط يسير وهو يجر الخطوات بصعوبة بوجه مرهق جدًا ، كان ذلك انا يا محسن، أنادي بصوت منخفض :

- ماي ماي.. أريد قطرة ماي. واجر خطواتي المنكسرة، العديد من الجنود تركوا زملائهم الجرحى ظنًا منهم انهما ماتوا ولم يعد بإمكانهم العودة الى حضن الوطن، ما أقسى ان تموت مرتين أولها بحرب لا ناقة لك فيها ولا جمل، والاخرى في بلاد الغربة حيث لا جثة تصبر ذويك على فقدك وهم ينظرون لك النظرة الأخيرة قبل ان تدفن في باطن الأرض.

يقول محسن إيفا كانت خطة الغزو العراقية تقوم على مهاجمة الأراضي الكويتية عبر 4 محاور رئيسة بواسطة 7 فرق عسكرية من قوات الحرس الجمهوري وهي الأفضل تسليحاً وتدريباً ضمن القوات المسلحة العراقية.

ولكن بعد ساعات من الاجتياح العراقي للكويت طالبت الكويت والولايات المتحدة بعقد اجتماع طارئ لمجلس الأمن وتم إصدار قرار مجلس الأمن الدولي رقم 660 وفي 3 أغسطس عقدت الجامعة العربية اجتماعاً طارئاً وقامت بنفس الإجراء، وفي 6 أغسطس بدأت لحظة التحول الكبرى بملامح القرار الذي صاغ أقسى عقوبة في

التاريخ الحديث والذي فتح فصلًا جديدًا لسنوات القهر التي عاشها اطفال ونساء وشيوخ العراق، انه القرار الذي شل الحياة في هذا البلد فقد أصدر مجلس الأمن قرارا (661) القاضي بفرض عقوبات اقتصادية على العراق... وكانت هنا بداية المأساة!

***

(5)

طريق العودة من الجبهة الى المنزل هو طريق تختلط فيه المشاعر بالنسبة لمحسن كان دائما ما يتغنى بأبيات شعر للسياب (ما مر عام والعراق ليس فيه جوع) ويضيف على مؤخرة الجملة كلمة (قتل ، فقر) لتكون كالاتي (ما مر عام والعراق ليس فيه قتل) (ما مر عام والعراق ليس فيه فقر) فالحياة ارت البتران كل بشاعتها وأصبحت المدينة طاعنة، مات فيها النهار، فالوطن ذلك المفهوم الفضاض الذي يبحث فيه الساسة عن تفصال يلبسوه بما يلائم مقاساتهم.

– عن من ندافع؟

كان دائما ما يخامره هذا السؤال وهو يحمل بندقيته المتهرئة ويعتمر قبعة العسكرية الخاكية ببدلة رثة.
– نقاتل لأجل من؟

عن الوطن وشرفه وابنائه ...ام عن كرامة الرئيس وخطاباته ؟ سؤال لم يرض ان يغادر رغم انه كان قد تنبأ بسقوط الصنم وموته مسبقاً قبل ان يأتي هذا الامر بعشر سنوات لاحقة او ما يزيد .الحرب والخدمة العسكرية هما جل ما يفكر به الشباب هنا البتران حيث يتحتم عليك اذ

اردت ان تكون رجلا يشار لك بالفحولة ان تخوض على الاقل غمار معركة او معركتين وتخدم تحت طائلة بنود الدكتاتورية ثلاث سنوات ونصف وتأكل ما تأكله الحيوانات وتعيش ما تعيشه هي الاخرى، وفي احسن الأحوال ان كنت تملك شهادة تعليمية مرموقة فسيطول مقامك وسنة ونصف لا أكثر، أنها هالوك النسل ومرض العصر الذي سيطر على جماجم كل الشباب الذين ينتظرون اقدارهم عن كل عام حيث يتم استدعاء المواليد الجديدة ممن لاحت أعمارهم الثامنة عشرة او ما يسموه بالعمر القانوني (للموت) فعلا انه العمر القانوني لتقتل الأخرين عبر حروب طاحنة لا مفر منها ولا ناقة لنا فيها ولا جمل.

وكم تشبه مفردة قواد تلك الحرب بفكرة القوادة التي تجد لها مرتعاً في شوارع المومسات عند ناصية المدن المسحوقة حيث يتجمع الشباب الأعزب عند تلك الشارع لتجتذبهم النسوة العاملات بهذه المهنة كم تشبه مهنة قوادة الاجساد الممشوقة بمهنة قواد الحرب الذين يبيعون اجساد الاخرين للموت الرخيص مقابل نزوات مريضة تدور في رأسهم. أنها الحرب قاتلها الله ولعنها لا تبقي ولا تذر أخذت الكثير ولم تبقي الا النزر القليل، بلداننا هذه توزع الحرب على ابناء شعبها بالتساوي دون تفرقة وبعدالة مفرطة تماماً.

- الحرب ...تبا لكِ (تفووو)

هكذا هاج وهو يضرب بيده باب السيارة ويبصق على الفراغ من النافذة ويلعن الحرب ومسببها فعلها وهو بحالة انهيار حتى ان سائق السيارة لم يكلف نفسه بسؤاله سوى انه استدار وما ان حدق في بدلته خاكية اللون والرثة تماماً حتى عاد للقيادة مرة اخرى وكل همه ان يكون باب السيارة سليماً.

وفي أطراف قريته الشعبية الجميلة بناسها والقبيحة بعمرانها .كان ثمة هدوء قاتم لم يعهده من قبل هدوء يشبه الهدوء الذي يسبق العاصفة هدوء لم ير له مثيلاً قط حيث اختفى حتى الصبية الذين اعتاد ان يراهم يلعبون كرة القدم في الساحات الترابية والتي قضى هو الاخر صباه يرتع فيها ...اختفوا تماما وكأنهم تلاشوا شيئا فشيئا لم يرى اولئك النسوة اللواتي يتلفعن بعباءاتهن السود وهن يجلسن عند عتبات الدور يتبادلن اطراف الحديث والمشاكل التي تحصل في بيوتهن..هنا الناس على فطرتهم وسجيتهم يتحدثون بكل شيء يخص عوائلهم ويشكون لبعض اهاتهم وآلامهم هنا الناس على طيبتهم يدخلون دور بعض دون استئذان كل الدور تشعر كأنها دارُ واحدة وعائلة واحدة يتقاسمونه الكرامة والهناء والالم والفرح كل شيء هنا يتقاسمونه مع بعض البعض، طيبتهم ومشاكلهم وأفراحهم. هذه الصورة بدت تلوح له وصورة مناقضة اخرى هي الهدوء الساكن في هذه المدينة لحظة وصوله .كأن ملك الموت أختطف كل سكان هذه المدينة وافرغها من أهلها فزع محسن لوهلة مشاهدته لصورة مدينته التي بدت وكأنها مهجورة....قطع عديدة من السواد لاحت له من بعيد معلقة على مدرسة المدينة واغلب جدران المنازل لم يتفحص ما كتب عليها ولكن خطر له ان تكون أحداها لاحدٍ من أقاربه فنحن بلد قد غادره مفهوم موت الله الطبيعي، وكل موتانا يقتلون على أيدي بني البشر!!

– يا ترى اي مسكين اخر غادرنا هذه المرة ؟

قال هذه العبارة وقد قاربت قدماه المتلاطمان عتبة زقاقه ..دخل دون استئذان او طرقات باب تعودها الاهالي هنا قبل ان يدخلوا حتى وان كان الباب مفتوحا او كان الفرد من سكان الدور.

لاقته احداهن بجناح منكسر وثوب أسود وما تبقى من دموع كانت قد نزلت بغزارة قبل اسبوعين ، لاقته بفرحة مغمسة بحزن دفين لاحظ محسن الكأبة التي تحوط ببيته والبيوت المجاورة، اي بلد هذه نصف امواته قضوا بحرب مع دول الجوار وعلى يدي افواه بنادق أمسكت بأنامل مسلمة تتوضأ للصلاة يومياً. رمى حقيبته الخاكية من يده والتفت الى اروقة الدار وزواياه لم يجد سوى الحزن يخيم على وسط داره الذي بدا مهجورًا بالكامل.

وكانت هنا بداية المأساة الحقيقية.

الفصل الثاني

كانت جرف الملح تقع في قضاء شط العرب أكتاف الحدود الشرقية للبصرة هذا القضاء المكتوب بالماء والنخيل والملح وسميت بجرف الملح لأنها تقع على ضفة نهر شط العرب وتقدم اللسان الملحي من الخليج العربي نحو النهر ما بين المد والجزر كانت هناك تتراكم الاملاح على جروف الأراضي بعد انحسار المياه فكانت طبيعة تلك المدينة الزراعية وبساتينها الخضراء متاخمة للمياه المالحة وتسمى بجرف الملح لما يترسب من الأملاح على ضفافها النهرية فيما بعد تحولت هذه المدينة الى تسمية أخرى (البتران)

وتبدلت تمور الحلاوي والبرحي والبريم الى قنابل فحينما يتحول الموت الى مصدر رزق لأناس يبحثون عن قوتهم في ساحات حرب وجبهات القتال يكون السواد هو المخيم على أرجاء تلك المدينة ، قرية البتران الواقعة شرقي مدينة البصرة على مجرى شط العرب المائي الذي يمثل حدود العراق مع إيران.

الطائرات الإيرانية التي ضربت المنطقة خلال أعوام الحرب ما بين (1980 - 1988)، لم تترك مترًا واحدًا من دون تخريبه، استخدمت حينها الألغام المقذوفة التي بقيت في بساتين قرية البتران حتى اللحظة ناهيك عن ما قام به النظام العراقي في تلك الحقبة من تلغيم الأراضي بدافعٍ عسكري لصد الهجوم فزرع الالغام بكثافة في الفاو والقرنة وشط العرب، وحدها البصرة تضم ملايين الالغام الارضية المضادة للدروع والافراد، والذخائر غير المنفجرة حتى الأن وبعض تلك المساحات

فقدت خرائطها فضاعت الأماكن التي زرعت فيها مما صعب من عملية تحديد المخاطر والتطهير فتم في العديد من الفترات اعتماد المسح اليدوي كما أسهمت السيول وحركة التربة على امتداد السنوات في تحريك تلك الالغام من مواقعها او حتى تغطيتها بالتربة.

الفقر الذي أصاب قرية البتران وبخاصة بعد عام 1991، على إثر العقوبات الدولية الاقتصادية أجبر العوائل هناك على البحث عن الحديد والمخلفات الحربية وجمع المعادن من الخردة في جبهات الحرب ، كانوا ينظرون الى قرص اللغم على انه قرص خبز، فالأراضي الزراعة هناك جرفت بالكامل ، التربة أصبحت ملوثة من بقايا المتفجرات والمياه الجوفية هي الأخرى اصابتها لوثة الحرب مما افقد الأهالي هناك مصدر رزقهم، البعض غادر المدينة وطوى صفحته والبعض الاخر أجبرهم الفقر على البقاء وسط دوامة الموت اليومي البتران كانت واقعة بين نارين فاغلب الطرق هناك نيسمية غير معبدة يستخدمها الأهالي للبحث عن الالمنيوم المستخدم في صناعة العلب والأدوات المنزلية البسيطة ، كانوا يبيعون ذلك بثمن بخس يسد لقمة يومهم وحسب، هذه المدينة اكلت الحروب اطراف أبناؤها ، قرية افتضت بكارة تربتها صواريخ الحرب ، صاروا يحصدون الألغام بدلا من التمور، تحولت جرف الملح الى مقبرة للأعضاء البشرية ، لما ضاقت سبل العيش على أبناء قرية جرف الملح... أضطر كثير منهم للتنقيب في ساحات معارك سابقة بحثًا عن معادن وأسلاك ضمن مخلفات حروب سابقة لبيعها وكسب قوتهم. وقد أقدموا على ذلك وهم يعلمون ما فيه من مخاطر هائلة تتمثل في التعرض لألغام وذخائر لم تنفجر.

لم يدرك هؤلاء ان جمع الخردة (الفافون) والصفر والحديد والبوش مصدر معيشتهم من البر سيحول حياتهم الى مغامرة ومقامرة بالحياة تتحول الى رواية وسط كل هذا الجحيم، تحولت القرية من أراضٍ زراعية جميلة وخضراء لمدينة قنابل كان لديهم الكثيرُ من الأغنام والمواشي والزراعة كانت منتشية في اراضيهم حيث روائح الحناء وأشجار البرتقال وأنواع التمور المختلفة والحمضيات، كل ذلك قتلته الحرب وقتلت معهم اخر لحظاتهم النقية ، الموت بهذه القرية يمارس معهم لعبة الحظ فبعضهم قضى وهو يدوس على الألغام والمخلفات الحربية وبعضهم تقطعت اطرافه وحسب ، حتى تركت تلك اللحظات ما يقارب الالف مصاب ، في هذه المدينة أصبحت الخطوات محسوبة مساحة الموت تتسع بهذه القرية والأعضاء تتضاءل وتتلاشى، أصبحت أراضيهم خصبة بالموت ، تتضاءل فرص الحياة مقابل لقمة العيش في هذه القرية.

كان محسن إيڤا لا يحب الجلوس او البقاء في قرية البتران حتى عندما كان أسمها جرف الملح، لم يكن يحب هذه المدينة ، ما كان يربطه في تلك المدينة سوى ذكريات أمه، اغلب الذين يعرفهم كانوا قد غادروا المدينة بعد الحرب ولم يتبق الكثير، في السنوات الأخيرة لم يكن إيڤا اجتماعيًا كان منطويًا على ذاته ، ولكن ذات مرة اخبرني حكواتي المدينة بانه شاهد محسنًا إيڤا وهو يمسك بدفتر ملاحظات صغير وقلم رصاص يدون فيه بعض الأشياء وهو يجوب الشارع الترابي ذهابا وإيابا وكانه يرقب المارة ،فالحياة في هذه القرية غريبة جدًا ، من الممكن لك ان تشاهد الصبية والأطفال وهم يلعبون كرة القدم بعكازين ، حتى ان احد المصورين المعروفين كان قد فاز بجائزة لأفضل صورة فوتوغرافية لطفل يلعب كرة القدم في قرية البتران بعكازين،

حتى زينب بهجة القرية وضحكتها صارت تجلس امام باب منزلها وتتدلى من قدمها اليمنى زجاجة بلاستيكية بدلا من الطرف الاصطناعي بعد ان ابتلع قدمها لغم ارضي حينما كانت تسير الى مدرستها ومنذ ذلك الوقت صارت زينب لا ترى الا سواد هذه الحياة يقول حكواتي القرية (أبو صائب) وهو رجل خمسيني كان يحفظ كل حكايات المدينة وأهلها وهو ضليع بتاريخ المدينة وحكاياتها الموروثة كان هو الوحيد الذي يأخذ ويعطي بالحديث مع محسن إيڤا وسمي الحكواتي لأنه كان يحكي لهم في مقهى القرية الشعبي حكايات يمتزج فيها التاريخ بالتراث والديني بالخيالي كان يجيد حكايات الغرق والدوامات التي تبتلع البشر، كان يحكي لهم عن احد انهار المدينة الذي اعتاد ان يطلب احد أبناء القرى المجاورة كل سنة وابرز الحكايات المخيفة كانت تلك التي تسرد روايات عن الطنطل والسعلوة والبيوت المسكونة وقد قص لهم العديد من حكايات الرجال الذين ضللتهم الطرقات وتاهوا في البساتين الكثيفة وتلاشت اثارهم الى الابد وكان غالبا ما يحذر الامهات من ترك اطفالهن وقت الغروب بالقرب من السواقي والانهار لان السعلوة كانت تلتهم الاطفال فتلك السعلوة قد اصابها جوع الحرب هي الاخرى وكانت تلك القصص تصل ذروتها مع جني الطرق الخارجية والذي كان يقف وحيدًا في منتصف الليل ليطلب المساعدة من سائقي السيارات المارين على تلك الطرقات ليكتشفوا بعد ذلك ان هذا المتزين بعباءة امرأة ما هو الا جني وكان الكثير ممن نجا من تلك الحوادث قد قص للحكواتي قاسمًا باغلظ الايمان بأنه قد شاهد ان قدمي هذا الجني تشبهان ارجل العنز، كان لحضور الحكواتي في مقهى المدينة علامة القبول والمتعة الحزينة فما ان يدخل باب المقهى على وقع قطع الدومينو التي تصرخ على الطاولة وهي تضرب بعنف بأكف صاخبة ودخان "المزبن" يتصاعد اعلى

سقف المقهى المصنوع من جذوع النخيل والجريد وحصير القصب وكانت تتدلى من جدرانه الفوانيس. يقول الحكواتي لمحسن في احدى حواراتهم ضمن أمسية من امسيات مدينة البتران الحزينة ان ثمة شابا تعرض لإصابة بلغم ارضي في عمق الأرض اضطر للسير على عجلته ثلاثة كيلو مترات ليرمي نفسه وسط منزلي لكي انقله للمستشفى ما ان وصل للدار حتى صرخ مفجوعًا:

- مروتكم نقلوني للمستشفى.

في اليوم الثاني كان هذا الشاب على سرير المستشفى دون ساقه اليمنى رغم ان اللغم أصاب قدمه فقط، يقول الحكواتي لمحسن إيڤا انه أكثر المبتورين الذين بكيت عليهم فقد توفى والدهُ في الحرب الإيرانية وتركته أمهم آنذاك لقساوة الزمن فكان يعيل الأيتام من اخوته مما يكسب من فتات الأموال التي ينالها من خردة الحرب كان لاعبًا ماهرًا لكرة القدم في قريتنا والجميع يتنبأ له بمستقبلٍ واعدٍ مع كرة القدم كان يحلم ان يحترف ويشتري منزلًا لائقًا لأخوته كنت اشاهد هذا الشاب يذهب يوميا الى المكان الذي تعرض فيه للإصابة وكان يعاين ذلك المكان من بعيد ويجهش بالبكاء حتى انه قد دفن قدمه المبتورة وكان يزور قبرها كل ليلة جمعة ويبكي بكاء شديدًا مثل الأم التي فقدت ابنها في الحرب كان النظام آنذاك قد أعلن عن منح مبالغ مالية للمواطنين مقابل تطهير الارض من الالغام والبحث عنها مما فاقم من المأساة وشجع الناس على الموت، يقول أبو صائب لمحسن إيڤا ان هناك العديد من الأشخاص في قرية البتران كانوا اذا تعرضوا للبتر هم او أقاربهم يعودون للوظيفة ذاتها بعد التشافي مباشرة وكأن لا حول لديهم الا المغامرة مع الموت حتى أني شاهدت في بعض الأحيان نساء تعرضن للألغام وهن في رحلة الرعي للأغنام وعاودن الرعي ما أن تم تطبيب

جراحهن اشتكت لي احداهن ذات يوم حينما سألتها عن سبب تأخرها في الزواج:

- من يتزوج امرأة ناقصة الانوثة!! انا بساق واحدة وعين واحدة!. امرأة في مطلع الثلاثينيات من عمرها تعودت ان تجز الحشائش لأغنامها ولم تدرك انها هذه المرة ستجز القنابل التي قطعت أعضاءها.

يقول أبو صائب انه وبعض رجال قرية البتران كنا قد بحثنا لمدة 48 ساعة عن 15 رجلًا من القرية اختفوا فجأة بعد ان ذهبوا للبحث عن الخردة ، اتضح فيما بعد ان الألغام التي اصابتهم جعلتهم يتشظون الى درجة صعوبة ادراك وجودهم في ارض قاحلة بعد ان ابتلعت جزءًا منهم الكلاب السائبة واستطعنا تجميع بعض بقاياهم ودفنوا جميعًا في قبر جماعي واحد كان يزور هذا القبر جميع عوائلهم الفقر أجبرهم على البحث بركام الحرب ومخلفات الذخائر فهم يمتهنون البحث بحقول الموت عن المعادن مثل النحاس والالمنيوم من أجل بيعها وتامين لقمة العيش حتى لو كانت النتيجة هي فقدان جزء من أجسادهم وهذه المرة كانت النتيجة فقدانهم دون عودة المفارقة الساخرة ان (عبدالأمير المكلف) كان قد تسرح من الخدمة العسكرية عام 1989 وقد خاض حرب ايران بضراوتها وخرج منها سليمًا الا انه وبعد عامين بالتحديد كان يصرخ في أحد حقول الألغام من الم فقدان قدمه اليمنى التي قادته للحرب واخرجته منها سالمًا ولكنها استسلمت للغم ارضي كان مختبئًا في باطن هذه الأرض هي الأخرى ذاتها ارض الحرب ، كان عبد الامير المكلف احد أهم وجهاء المدينة وكان يعمل في نقل التمور ببلمه الجميل الذي يرسل فيه تمور نخيل شط العرب الى المكابس حينما كانت النخيل شامخة في قضاء شط العرب قبل ان

تخسر هذه المدينة اكثر من مليونين و200 نخلة ابيدت بالكامل. اما چاسب گلالة فانه كان صاحب دكان صغير اغلب ما يبيعه بالدين كنت اشتهي خبز تنور الطين من أيدي أمه التي لم ارها يوما ترتدي غير السواد (ام چاسب) كانت أحن نساء القرية على الغرباء والوافدين كانت تجيد طبخ محروگ أصبعه والمسموطة والشعفة ومرات عدة هي التي دعتني لمأدبتهم البسيطة حتى اني أتذكر ذات أمسية قضيتها في ذلك المنزل كان العشاء چايًا وخبزًا حارًا ما زالت رائحة الشاي تتجول في ارنبة انفي كلما تذكرت ام چاسب، كان حِب منزلها بالقرب من الباب الخارجي المشرع على مدار اليوم ليدخل الأطفال والمارة لشرب الماء البارد من هذا الحِب (الزير) والذي كانت عذوبته بالنسبة لي الذ من الزلال والسلسال ورغم بساطة منزلهم الا اني كنت اشعر براحة وطمأنينة كبيرتين كلما زرت بيت ام چاسب رغم تخمر الحزن في تجاعيد هذه المرأة الصابرة كانت تطبخ على "الچولة" ومصباحها النفطي ينتصب في غرفتها الدافئة برائحة الوقار المختلط بالبخور وكل أبناء القرية يتذكرون ان الهريس الذي تطبخه ام چاسب لا يضاهيه الذ الاطباق كنا عند فجر كل يوم العاشر من محرم نقف طابورًا في "حوشها" الصغير لكي ننال حظوة الحصول على طبق "الهريس" اللذيذ. ولا اعرف لماذا القرية كلها تناديهم بيت ام چاسب فانا الاخر لا اعرف مصير أبي چاسب الا اني كنت اعرف الأخ الأصغر صلاح المغرم بالرسم وكان يشاركنا بعض الحوارات بحضور الحكواتي الذي كان يقول له ربما ستكون يوما رسامًا عالميًا كانا يضحكان بسخرية مفرطة كلما انهيا حديثهما عن الرسم وعادا لواقعهما المتخم بالألم والسؤال عن كيفية الحصول على لقمة الغد، صلاح كان يحلم بالسفر الى باريس او لندن وان يكون رسامًا مشهورًا تطلب الفتياتُ توقيعهُ والتقاط الصور معه چاسب لم يكن ابنها فقط بل كان بصرها ودليلها

في خريف عمرها ، ذكر لي الحكواتي ان الاخ الاصغر لچاسب كان قد نقل خبر وفاته لامه فاستقبلت هذا الخبر بصمت مخيف لم تذرف دمعة واحدة تجمدت ملامح وجهها وكأنها ماتت من الداخل وغادرت جسدها الروح، لم تتناول كسرة خبز بعد ذلك بدت بعد ايام وكأنها تسدل الستار على حياتها بطريقة فاجعانيةٍ، في اليوم السابع فقط من رحيل چاسب، لم تصحُ باكرًا لصلاة الفجر كعادتها دخل ابنها الأصغر (صلاح) فوجد أمه قد اغمضت ابتسامتها الاخيرة واغلقت ملامحها الوقورة واسدلت ستار الحنان والعاطفة لتلتحق بابنها؛ ذلك الوحيد الذي عرفته من هؤلاء الخمسة عشر رجلًا الذين ابتلعتهم مخلفات الحرب.
مرت سنوات كان منتصف شتاء 2026 حيث شوهد (صلاح شقيق چاسب گلالة) أسفل جسر ساحة سعد وسط البصرة بعين واحدة وأخرى منطفئة ينظر للمارة بحنق كبير، ودون قدمين يفترش الارض ليبيع الكلينكس بطريقة التسول لعل المارة يغدقون عليه من كرم عطفهم! بعد أن ثار منه لغم ارضي لعين في قرية البتران في سنوات قريبة أخرى تلت رحيل چاسب گلالة وامه.

الأرض في قرية البتران وبعد ان وضعت الحرب اوزارها صارت تتقيء قنابل وصواريخ بعد ان امتلأت بطنها بالملوثات والمتفجرات فأعادتها الى الأنسان بصورة موت مجاني ، فهذه الأرض المتخمة بملايين الألغام والقذائف لم تعد تحتمل كل هذا البؤس وكأنها تصب لعنتها على البشر بعد ان افتضوا عبقها ونقاءها بعد ان كانت تحتضن النخيل والخضار أصبحت تبلع الموت والقنابل، فصارت البتران لفرط ما بتر من أعضائها قرية حزينة يلفها البؤس في كل مكان وعلى كل جدران ثمة ذاكرة للحرب والموت، فهذه المدينة أصبحت تتاجر مع الموت وتمتهن التجارة المميتة فهم يخرجون ولا يدركون انهم

سيعودون الى منازلهم بكامل اعضائهم ام لا! ما اقسى ان يذهب المرء لعمله لكي يكسب لقمة العيش الحلال فينتابه القلق بانه قد لا يعود لأطفاله او قد يعود مقعدًا، لتضحى المدينة بأفراد صاروا يعيشون بنصف حياة ونصف أعضاء والموت يحدق بساكنيها كأنها تلك المدن الخيالية التي يعبث بها صناع السينما ليصوروها لنا بانها مدن حاملة لكل معنى المأساة والحزن.

محسن إيڤا كان قد كتب مقالًا في احدى الصحف ذات يوم عن معاناة قرية البتران فقال فيه ان هذه المدينة تعاني من سوء الخدمات، نقص المياه الصالحة للشرب، تسمم التربة جراء المقذوفات والغام، تلكؤ مصنع الاطراف الصناعية ،انتشار الأمراض وخاصة السرطانية بسبب التلوث البيئي، وجوبه المقالُ بالرفض من رئيس التحرير وقال له:

- قد يعرضك ذلك للمساءلة لا تنسَ الوضع الأمني الان غير مطمئن!.

يقول الحكواتي بان محسن إيڤا كان اغلب الأحيان صامتًا ولم ادرك ان هذا الصمت كان يمثل لحظة صدمة ما بعد الحرب او لحظة صدمة من الواقع المزري للبتران حيث الطين والماء وخوف الأمهات وهن يراقبن اطفالهن خشية ان تطأ اقدامهم تلك المناطق المحظورة فهم يستبدلون أعضاء أبنائهم بالطعام، وانت تسير في ازقة هذه المدينة تشاهدُ اغلب سكانها بأطراف ناقصة او عيون منطفئة ولكنك تشعر بانهم يواجهون الموت كما تواجه النخيل، تشعر انهم اموات يسيرون متحدين الموت مرة أخرى ولاعنين من زرعوا بارضنا موتًا مجهولًا قال لي احدهم ذات مرة :

- صرت استحي اطلع ايدي لان عيون الناس تنهش بي يد اصطناعية لم تمتد للاستجداء لكنها أمتدت للموت من أجل لقمة عيش كريمة.

محسن إيڤا المرة الوحيدة التي على صوته بتلك المدينة كانت حينما زار احد الصحفيين الأجانب تلك المدينة لكي يعمل تقريراً صحفيًا فصرخ به احد الرجال ممن بترت قدميه:

-انتم تجون من بلدان كبيرة وتشوفون مدينتنا مجرد ارقام موتى تعرفون شنهو يعني يتحول حلم طفل لرماد وتتبدل رجله بعكاز لو خشبة. كل اسف الكون ما يعوض هذول الأطفال عن أعضائهم، الف لعنة على الحرب والجابها النا.

اشتبك محسن إيڤا مع ذلك الرجل وحاولت تهدئته دون جدوى سحب في الأخير ذلك الصحفي معه الى وسط المدينة ومن ثم ذكره محسن إيڤا قائلاً :

- ما كان عليك ان تذكر أنك تحمل الجنسية الأمريكية!

الفصل الثالث

(1)

محسن إيڤا كان كلما يصاب بالإحباط والقلق يزور صديقه عصام الأسود هذه المرة قال له صديقه تعال الى مكان عملي نلتقِ هناك ومن ثم نذهب الى المدينة وفي الطريق كانت تدور برأس محسن إيڤا الصورة الغرائبية التي تركتها عليه اخر زيارة لعصام الأسود وكأنه ذاهب الى حرب اخرى، ففي الخارج ثمة حرب خاصة تحصد الأرواح وتبتلع الأجساد وتقضم الأعضاء فأينما تولي وجهك ثمة حرب تبسط ظلها على جسدك وعلى أزقة المدينة الحرارة تكسر حدتها وقد خيم الليل على غرفته بسقفها البالي المتشقق كمقدمة قدميه وثمة مشاكسة طفولية في جدرانها المتهرئة تحوطه التواءات ونتوءات الأرض يذرع المقبرة ذهاباً وإياباً ويتفحص رقود الموتى ،تخرق دماغه المتشعب وصية والده (من ليس له ظهر قوي في هذا الزمان ينتهي به المطاف في مقبرة مظلمة) خطواته تتثاقل وتنسخ بعضها على أصوات جوقة المراهقين الذين يغتسلون في النهر من تغسيل الموتى وتقبيل نهود الفتيات منهم ، صفعه منظر طوخ افقه ..جندي حرب يفرع رأسه من خوذته ويملئ زمزميته قيء بينما اعتمرها من جانبه بكل وقار يحدق جيداً لفراعة رأس الأول ولبعض الخصلات البيضاء والخجولة وهو يدرك جيداً أن الموت لا يسع لرأسين .عبارات العهر متطايرة من الجوقة في الخارج وعذالهم يستطيل على امتداد أشداقهم التي تبعث رائحة الطعام البروتيني المتفسخ في بطونهم وهم يتبادلون إغراق بعض بأكياس مياه آسنة ودون مؤاربة أخذت قدماه تفتش بقايا المقبرة لعله يجد أية جثة فارة فيخمدها في لحدها وكلبه الأسحم الذي يعايشه ويعطف عليه كأخ صغير لم تلده أمه يطلق عواء مجنون وقد ساقط بيادق الشطرنج من على الخشبة وكان لحظتذاك قد جلب كتل لحم بشرية من مكب النفايات بعضها لغرض الطعام وأخرى يدسها في

أي ثقب خالٍ الوفاض من المقبرة يرتشف كآبة الصباح وأصوات ترتفع على إذنيه (لا اله الا الله) ففتيات الحرب يتخلين عن أنوثتهن ويمزقن كل الأثواب غير آبهات للأرداف والأكتاف والنهود مادام غايتهن الفناء وقطيع لحم غائر غولاً بلا سبات (يبووووووووي) الأجساد القرمزية والنحاسية تمتد على فنارات المقبرة يرمي بصره على سيل ملون من الجثث تتنهد وتتحرك الأهداب مع تاتو أعلى حاجبيه رئتيه تستقبلان نسمات الهواء وصديقه الظل يغشي لظاه تنزلق من إمامه صورة الأمس المضمخة بالدماء ، إسفلت الشارع الغائر والصبي الذي سرق خاتم خطوبة فتاة ميتة لم تفتضها قبلة حبيب ، فضلات العصافير تقطع سلسة أفكاره وقد أحاطه ريش القش من كل مكان ، صراخ ، بكاء ، دموع ، رائحة الجثث ، قتلى ، دماء ، رائحة الموت ، البارود ، بذلة القائد المبجل والنجوم التي تتراص على كتفه كذباب يجتمع على حلوى، هذه روائحه اليومية تزكم أرنبة انفه لتحيله إلى شخص هلامي طوباوي ينام في جحور الجرذان ، ليأخذ مساره على امتداد دوائر جسده يطلق ابتسامة فارهة ذات لمحة ارستقراطية (لعنة الله على رحم أمي الذي حملني وتبا لظهر أبي) تلعثمت شفتاه وتطايرت الحروف الرجراجة منها قبل أن يطلقها مع احد القبور بهستيريا واضحة ، وهو يهرس زفرات التأفف المتتالية ، بقع دم متقافزة ، ساعة الغرفة تتحرك ببندولها الذهبي تصدر صرير
(تك ، تك ، تك ، تك ، تـ ، كـ ، .) صه قبور تغفر إلفاه ، أبدان لم تر الشمس ، النعيب يملأُ الجو بالخارج ، ثمة طلل يحاوره وهو يرقب الطريق من على فراشه تتسلق اليه صور شتى ، تدبغ جلده أضواء خافقة من خلف نافذة رمادية ، الأرض حوله يباب ، سوى نهرٍ ومقبرة ، وبناية الطب العدلي ، تبا لهم وطناً صيروه (خطية) العتمة مفروشة على طول طرقات الوطن ، يتسلل الليل خفية وينشر ظلاله على المقابر المملوءة بالسرفات، المراحيض المفترضة تغطيها روائح اليوريا وبسطاله مع جواربه تنبعث منهما روائح تذكره بسواتر الموت ، حاول أن يتزحزح عن مكانه ويغير طريقة جلوسه وقد زارته

صـورة أمـه بشـالها الأسـود، أختـه العشـرينية بـدفاتر محاضـراتها الجامعية،والده باركيلتـه ، ونفـاث سـيجارة التبـغ ، والصـفعات تتـوالى عليه:

(يبوووووووي ، قتلوه ، أعدموه شنقاً بالرصاص لأنه لم يصوب نحو العدو بصورة صحيحة بقعة دم ينبض كسمكة خرجت من الماء للتو) تناوش نفسه والقمر بدأ ينسحب بهدوء ..أموات هجروا قبورهم ، وجثة بـان جـرح عميق في رأسـها وانسل لبقيـة أعضـاء جسده ، مـراحيض المقبرة على الهواء الطلق ولكنها تفرض شروطاً قسرية على مرتادها (حينمـا يرقد الأمـوات ويبـدأ الـدود يأكل لحمهم ويفتـتح منكـر ونكيـر السؤال) يتناءى كخفقات الأمواج ، يرتشف لتراً من البيرة المعبأة بعلب صـفيح زيـت رسـمت عليـه صـورة القائـد يخربشـها بيديـه المملـوءتين أظـافر طـوال متسـخة وقـد نبـت علـى بـاطن كفـه شـعرًا كثيفًـا عروقـه منتفخة وأعقاب السجائر التي ترقد على علب فارغة وهو ينث بها تارة ويحـرق بهـا الشـرفات تـارة أخـرى ،قيظ الحـر اللاهث يجعل الطنـين يهاتف إذنه المتسخة وفحيح أنفاسه يمتشق مزمـارا ويصـدر مقطوعـات أشـبه بموسيقى (شـوبان) يطلـق ضـحكة ملء شـدقيه بخطـوات متثاقلـة ورأس منكس ينأى عن القبور قليلاً وهم يطبعون شفاههم ودموعهم عليها خطواته تناسخ بعض وقد قطع شوطاً خلف نوافذ حمراء ملطخـة بدموع أرامل حرب ، الجثث ورائه دون حارس ..ودودة الجوع تـنهش معدتـه وسـيجارته تبحـث عـن شـفاه عـذراء لتلامسـها ، بنايـات رابضـة خلف نوافذ صفراء ، وبنو البشر مرميون بتشظٍ كقران مهجور، المارة بوجوه غريبـة ، حفـاة ، عـراة ، مقطوعـو الـرؤوس ، امـرأة بـان عليهـا بأنها قد تزوجت ألف رجل قد أكلته الحـرب بأنيابهـا ، مـوق عينـه وحـد لسـنه يكـادان يتجمـداً بصـره امتـد للأفـق يقـرع الأبـواب الموصـدة ، المطففون ينتشرون في كل مكـان وهـو لـم يظهـر بشاشـة الملـق ، دوال الحرب تقسم وجهه الى شعب ، وثمة سائل لـزج ينبعث من أنف كلبـه الأجرب السائب أزلف الشارع وأزف وقت طويل يقطع الشارع بقدميه ، الصمت يحوط بكل شيء والمارة ذعرون من مظهره وكأنمـا مسـهم

النزغ، يتخذ من الأرض فراشاً والسماء بناءً وهو يختلي مع نفسه وقد استزله الشيطان تنبعث من فمه رائحة كرخام القطارات يتحسس وجود قلبه في جهته المعتادة فهو يشكك حتى بوجود أعضائه بجانبه قطة تموء بحنان تستجدي عطفه بكسرة خبز يابسة وقد نهض يستجمع قواه الخائرة ويطلق عذالًا طويلًا مع القطة ، دموع جامدة تتغرغر في إحدى زاويتي عينيه وبالوعات المياه الآسنة ترقب الجيف على إسفلت الشوارع ، أطفال ونساء يبيعون ماء حيائهم بقناني من النايلون وبالتقسيط المريح ، على امتداد تقاطعات الشوارع سحب جسده مع أخر عبارات عهر شاجرت إذنه وهو يرميها بنظرات احتقار ويطلق ابتسامة مصطنعة بوجه طفلة تعلقت بردنه من أجل قرصٍ من المال فامتنع ، تالد لونه سحيم وعيونه محملقة بالمارة وادهم عيونهم يرمي على بؤبؤ عينيه شزرا روتيني ينكفئ على وجهه لتحتضنه فيافٍ غائرة ، وثمة صبي امتد بيدا واحدة وساق واحدة ومخاط اصفر يندلق من انف الصبي المدبب ..قدماه تنجرف وصوته لا يتجاوز التراق يجتر لنفسه خصال عائبة وهو يواصل المسير وبدلات خاكية تملئ الطرقات كالجراد الهائج على مزارع خضراء ، الوصول إلى جدران نائمة (دفتر محاضرات ، وشال ، واركيلة) يحتاج قلب كصحبه الذي يحرسهم في المقبرة ، المكان يغلي فيحترق الزمن معه ، الكلمات الشامتة تتجول افقه ، وهو يطلق عذال طويل مع صفقات قلبه مرت ساعات وأكلت أخرى ، لم تطأ قدماه الا مقبرة ، سوق أهوج نحيف فيه بقايا فتات للناجين ، يكثر فيه المطففون والبذلات الخاكية ، في المساء عم المقبرة فوضى عارمة ، بقع دم ، صراخ ، بكاء ، قمصان ممزقة اعتداء ..أجساد متشظية ، دمى ، شال ممزق ، اركيلة محطمة ، دفتر محاضرات بأوراق متفرقة ، بينما راح حارس المقبرة عصام الأسود يغفى إغفاءة طويلة لم يحسبها من يومه لتناله برودة الجو في إحدى ثلاجات الموتى ، مجتازاً الطب العدلي والسوق وعائداً للمقبرة ..ليكون حارسها الأزلي ..شاهدا على جريمة اغتصاب وطن وذبح مقابره!

(2)

بعد أربع وعشرين ساعة ، تلاشى أصحاب البذلات الخاكية من الأسواق ، شيئا فشيئا بدت المقبرة هادئة وصامتة جداً ، وبدا الطب العدلي كذلك تمامًا لا ضجيج صادر من المقبرة ، ليطل الرئيس على شاشة التلفاز بوجهه المبجل معلناً انتهاء حربا طاحنة مكللها بنصر عظيم وخسائر لا تقدر بثمن !!!

***

(3)

في نهاية الشهر ذاته كانت تتطاير أوراق صحيفة رسمية داخل المقبرة يلعقها كلبه السائب وقد خط مانشيتُ عريضُ على صفحاتها: التحقيقات جارية للبحث عن جندي خائن قد هرب عائلته عن طريق مقبرة الى احد البلدان المجاورة. بينما الشال وسجل المحاضرات يتقافزان بين القبور وماء الأركيلة وزجاجها أضحيا في خبر كان وقد نسج العنكبوت بيته على جدران غافية تحتضن بعض وتنام فوق بعض بلا حياء من المارة ؟!

قلت مع نفسي هل كان ذلك (عصام الأسود)؟

**

(4)

في الطريق الذي اقصد كان الروتين اليومي يقودني للمشهد ذاته نفس الشارع ونفس الحافلات نفس الوجوه البائسة والتي اختلطت تعابيرها ما بين فرط النعاس من الليلة الماضية وبين الطريق الروتيني اليومي الى مكان العمل ، فنحن غدونا نسهر الليل ونغالب النعاس في النهار على النقيض من المطلب البيولوجي لنظام الراحة في هذا الطريق الذي يمتد لأكثر من 40 دقيقة في ظل الزحام الصباحي كيف يتم تزجية

الوقت مع سائق شبه اصم لا يجيد سوى القبض على مقود السيارة وينظر للأمام لا ترمش له أي عين! في المسير اليومي عبر هذا النمط من الحركة يواجهنا على الشارع المقابل عكس سير شارعنا وبشكل يومي مثل عقارب الساعة في ذات موعد انطلاقنا او وصولنا لهذه النقطة بالتحديد سيارات رجال البوليس مصطحبين معهم باص السجناء وهم يقادون الى المحكمة من اجل نيل العدالة! يوميا يواجهني هذا المشهد تتقابل عيوننا بصورة متكررة لكن وحدهم السجناء من يختلفون بصورة يومية!

- انه مشهد سردي يا هذا؟

(ضحك بهدوء ثم عاد لممارسة صمته الرهيب)

- انه مشهد يغريني للكتابة ، توقفت عن ذلك منذ سنتين واكثر!

(ابتسم هذه المرة لأكثر من 20 ثانية ثم عاود الصمت)

اللعنة هذا السائق الصامت يجهل ما يمثله هذا المشهد لي كجندي حرب يعشق تدوين الملاحظات ولكن أصابهُ العقم منذ سنتين! .

بعد برهة من الصمت نطق بجملة هادئة :

- انه مجرد باص لسجناء.

قلت له هذا بالنسبة لك اما انا فيمثل لي هذا الباص عشرات القصص وفي كل عين من عيون هؤلاء المحدقين من نافذة الباص الف حكاية وحكاية .

- كيف ستصل لتلك الحكايات.

- ادخل لعيونهم واسرد حكاياتهم بعين السارد (قلت له باستعجال واهتمام كبير).

عاد مرة أخرى لصمته وهو لم يقتنع تماماً ما يمثله لي هذا الباص من غواية سردية افتش عن ما خلفهم من حكايات ، أبرياء ، مذنبون ، لا يعني لي هذا شيء ، المهم ان أعرف حكاياتهم ، بغض النظر عن مدى جرمهم وبشاعة افعالهم التي اوصلتهم لهذا الباص ما يهمني كيف استخلص من تلك العيون أصل الحكاية وكيف اسردها للناس بطريقة يعجبون بصياغة تفاصيلها التي غالبًا ما أغذيها من مخيلتي السردية واعود مرة أخرى لهوايتي التي لا أجيد سواها ان اسرد الحكايات للناس هذا ما يهمني قلت في سري، عيوني مرة أخرى في مواجهة تلك النافذة الصغيرة وعيونهم مرتبكة حائرة تتنظر مصيرها أحاول ان اخترق تلك العيون وانفذ الى عقولهم او مخيلتهم علني أسرق كل محتوياتها واصيغها بطريقتي الخاصة أسرد محتواها الغريب والصادم فخلف كل مجرم ثمة حكاية ملؤها الشغف والمفاجأة وكسر الروتين خلف كل عين من هذه العيون ثمة أشياءً غير تقليدية أشياء غير روتينية لا تشبه طريقي الذي اقصده يومياً بنفس النسق كلما اقتربنا من المواجهة اليومية على عكس الشارع الذي يقودني لمكان عملي ويقودهم لمكان العدالة! أعكس زاوية النظر فأتأمل تلك العيون الحائرة النادمة الخاسرة وبعضها القاسية ، عيون لم ادرك تماماً صعوبة الوصول اليها والنفاذ اليها ، كنت احلم بألف حكاية وحكاية خلف تلك العيون ، كنت اخطط ليكونوا حكاياتي على امتداد أيام السنة فالفوضى العارمة داخلي كانت تبحث عن سكينة من نوع خاص أطهر فيها نفسي واتطهر من فوضاها عبر استعادة قصص هؤلاء الشباب القابعين في الباص مثل دجاجات تنقل من المعامل الى محلات البيع بالتجزئة

(مثواها الأخير او مصيرها المحتوم) بعض تلك العيون كانت تقول لي دون ان تنبس ببنت شفة الف حكاية وحكاية لا أفقه منها سوى الضياع والتيه واحيانا النسيان، ما كان يخيفني حد الرعب ان ذاكرتي تتجمد هناك في معبر هذا الشارع المحاذي لطريق باص السجناء، الزمنُ لحظةُ تتجمدُ ولا يمكن أن أتذكر أي شيء حتى وصولي الى موقع عملي ، ينادي ذلك السائق الصامت ها قد وصلنا، انزل بخطوات مرتبكة الى عملي وقد تركت خلفي عيونًا تضمرُ العشرات من الحكايات والتي تبحث عن سارد اذكى مني وأكثر يقظة وأنتباهًا للولوج اليها وسرقة ما فيها علها تتطهر من أدرانها! وعلني اتخلص من فوضى فرط الحكايات المتلاطمة داخلي! لأعود لواقع مدينتي البتران وما تعانيه من ويلات هو جزء من الواقع المأساوي لمدينتي البصرة وبلدي العراق.

اعود الى مدينتي دون ان اكمل المشوار، اخشى اني تعرضت لصدمة نفسية ما بعد الحرب قد بدأت تلوث عقلي بالخيالات والجموح والعزلة والاغتراب ، طبول طبول طبول تقرع في رأسي حفل صاخب يلف ذاكرتي ولا شيء امامي سوى السديم والعدم وشيء من فوضى الغد مزاجي محتشد بالأوامر والانعكاسات وصور من الذاكرة وانا ادور باحثاً عن حل في خضم هذا الفراغ المملوء بالضجيج امزج الفكرة برأسي علها تخرجني مما انا فيه وانا ايقن عالماً انه لا مخرج من هذا البؤس سوى السرد اهرب الى الورقة والقلم علني أتشافى فتسحبني بناتُ أفكاري من اسفل ردائي متوسلات بالعودة عن هذا القرار والذهاب الى التأمل. قيل تأملوا تصحوا أحدى حبات الاكسير اليومي.

اتأمل وجهي وادرك من تقاسيمه ان ثمة ما كان ينتظرني وثمة من يبحر في عيوني وذاكرتي منطلقاً دون قيود او مسرات باحثاً عن أعماق ذاته المضمرة ...ادرك ان ثمة ما يختلجني لا اعرفه جيداً ملامحهُ بدت غريبة بعض الشيء إلا أنهُ مألوف، مألوف جداً.

- سافر فانت لست شجرة!

صوت كوميدي جاء من خلف اذني يحثني على الابتسامة. فارمقه بنظرة شزراء تشبه نظرات المرضى في المصحات العقلية.

- ستقودك للجنون قلت لك ذلك، أنها هي والله لكنك تأبى التصديق!

صوت اخر يزمجر في المكان يباغتني بالشماتة والعذال وكأنه كان ينتظر ذلك السقوط ، يا للعنة تقاسيمها سوداء حد اللعنة ، ما هذه العتمة التي تعانقني كلما اردت ان اشرق في المكان أشعر ان كل شيء يتجمهر أمامي ليطيح بأخر خيوط الامل في حلمي.

- ابله لست قمراً لكي تضيء!

اللعنة سأمت لعب دور الرجل المثالي العصامي . رددتها عليه قبل ان اتركه يشمت بسوء حالتي.

- لست مريضاً ولست مجنوناً... تحتاج بعض الراحة يا رجل.

صرخات أخرى وأخرى تلاحقني وانا في اخر الزاوية المعتمة انظر الى الضوء الذي سيأتي من النفق المغلق أحياناً يتراءى لي باني اجيد التمثيل حتى أنهم لاحظوا ذلك، في اليوم الأول من وجودي هنا جئت صارخاً لاعناً ساباً وشاتماً وكأني أمثل دور السجين المظلوم!

- صوت ضحكات شامتة.

لن تتركني وشأني هذه المرة حتى أنى بت لا أفرق بين بطل قصتي وبطلي في الواقع واحياناً بين هؤلاء وبيني... اللعنة كل شيء متشابه هنا. مذ كنت صغيراً كنت أكره كل شيء متشابه!

- قالت لك الجدة ذات يوم: لا تسكن هذه المدن فهي مدن خراب وبؤس.

- ولكنها مدينة غنية ...غنية جداً وأهلها طيبون ولديهم ما يكفي من الطعام والماء.

(يضحك ملء شدقيه كالمجنون)

- ماء....ماء... أيها الابله هذه المدينة تحولت لأرض يباب من اين لها بالماء لكي تروي ظمأك!
- - لا يهم ، المهم أن هذه المدينة تقبلني كما انا ، أستطيع ان اتنفس فيها .ربما الخلل بي انا (بارتعاشة صادقة) انا من حولت هذا الكبرياء الى خيط من البؤس والحزن ، اللعنة ما كل هذا الضجيج الذي يملئ الفراغ ، .هل كنت كذلك؟ هل أستطيع ان اهرب من كل هذا الجحيم!
- جحيم!
وماذا تسمي مدينة لا يوجد فيها حب ولا ماء ولا حياة!
- أتدرى سؤالك محير وفلسفي وعميق ، بل بائس عدمي لا فلسفي ولا هم يحزنون . صرت انا كلاهما صيروني انا كما يريدون ، اللعنة على هذه المدينة التي تخشى الأضواء وتخشى القمر في منتصف الشهر وتخشى الحب وكلام العشاق على

ضفاف النهر وفي الحدائق العامة ، اللعنة على هذه المدينة الميتة.
- لم تكن كذلك، ضاحكاً بلؤم بل كانت ثكنة عسكرية لا فرق بين الوهم والحقيقة الا بأثبات النفس فان كنت في الحقيقة تعيش على الهامش فانت بطبيعة الحال تعيش حياة الوهم كانت الحقيقة موت مؤكد ورصاص يتطاير من هنا وهناك والوهم كنا نحن المتعلقون على استار هذه الحياة والان اللعنة الحقيقية تحولت لرصاص من نوع اخر يقتلنا دون جرح يمثل بنا بطريقة جنونية نموت ببطء مثل الاف الفقراء!
- ولكنا لسنا كذلك.

- بل اسوأ ، لا تجمل الصورة وهي قبيحة، قبيحة جدًا الموت الأن يختلف تمامًا صاروا يقتلونا دون ضجيج حرف او حرفين كفيلة بان تذهب بك وراء الشمس.

- تذهب بك وراء الشمس! كانوا يهددونا بتلك الكلمة.. نفسهم الان عادوا بهيئة أخرى...اللعنة هؤلاء مثل الحرباء أينما حلوا غيروا الوانهم.

- هي مجرد ملابس ! غيروها! لا يفرق لدينا الكثير الم اقل لك ان تفكيرك فلسفي عميق عن الحقيقة والوهم! والضجيج الذي يملئ راسك ما مصدره ، كل هذا كل هذا يا ..... صح نحن نتحاور منذ عام وانت لم تفصح لي عن أسمك حتى الان.

- الأسماء ليست ذات أهمية.

فعلاً حتى انا لم اعد أتذكر جيداً ما كان اسمي وما سيكون! وهذا جزء من عمق الفلسفة، صدعت رؤوسنا بهذه الفلسفة الفارغة، هذا ما كنت

أقوله لنفسي كلما تفردت بها وعادت بي الذاكرة المعطوبة الى الوراء تجرني كما يجر الحصان عربته ، تسحبني من الشرق الى الغرب حيث نتسكع سوية مع احد رفاق الموت متناسيًا كل الكوابيس التي تطاردني بسبب مدينتي (البتران).

كل البيوت متشابهة تقريبًا في المدينة التي تقع بالغرب من مركز البصرة والممتدة بأراضيها الخربة وبيوتها المتهرئة في مفاصل كبيرة، النفايات تزرع الأديم، أكياس نايلون، علب بيبسي فارغة، صناديق لنقل الفواكه محطمة ومرمية على قارعة الطرق، ضجيج السيارات يوقظ أطفال تلك المدينة باكراً، أحياء ضاجة بالمراهقين وأصحاب الإتاوات، وجوه غير رحيمة بسحنة سمراء، أجساد مملوءة بالاوشام (يا حسافة) (أخي الغالي) (امي جنتي) (... .) ... . نسوة متلفعات بعباءاتهن السوداء، لا شيء يدل على تحضر هذه المدينة، كل ما فيها مقزز، أكوام من الازبال ومساحات كبيرة من المياه الآسنة، أمراض شتى تصيب أطفالهم لا يكترثون بالموت هنا يذهب طفل ويأتي أخر، !! حتى السوق الوحيد ففيه من الروائح المزكمة ما يقزز النفس البشرية ويبعدها عن تلك الأماكن وفي الصيف تشتعل الشجارات بين الشباب، بين النسوة الجيران، بين شباب هذا الحي وشباب الضفة الأخرى! في هذه المدينة النسوة يتشاجرن على النفايات! الأطفال! على أتفه الأمور وأسخفها! مدينة تغفى على الأسى وتصحو على جروح طاغية تبلد أيامهم بسيل عارم من اليأس والغموض، في الجانب الأخر ثمة معسكر لتصدير أجساد الجنود المساقين إلى الموت عنوة، يأكلون قطع الخبز المرمية على الأرض بشراهة غرائبية فالجوع سيدهم وربما حال المدينة ليس بأفضل حالًا، أطفال أصابهم الجفاف وإمراض غريبة ولادات مشوهة، عوائل تتناول وجبة واحده طيلة يومين، نساء

بـدأن يتـاجرن بشـرفهن مـن اجـل قـرص خبـز! وعوائـل تنازلـت عـن أطفالها من اجل دفع أيجـار الشـهر المقبل، كل شـيء هنـا يدعو لليأس فمظـاهر الحرمـان والألـم تنتشـر فـي كـل بيـت... البيـوت بأمتارهـا الـتسعين تضم جثث عدة تصل الى (15) فرداً فـي بيت واحد، رجـال ونساء وأطفال يتكورون في غرفة واحدة، يجتمعون وإذا بوجه الرئيس يطل على تلفازهم الذي يقاوم نفسه في بث الصورة:

- أننا نتهيأ لعبور الأراضي وسحق كل المتمردين، .

- تفوووووووووو

أطلقهـا ذلـك العجـوز الـذي تجمعـت أضـلاعه وكـادت ان تنكسـر وهـو يوجـه تلـك البصـقة باتجـاه التلفـاز وقـد تطـاير رذاذ ثلجـي علـى وجـوه الجالسين بجنبه:

- ماذا تبقى لدينا لنخسره؟

رد عليـه ابنـه أمجـدُ الـذي أنهـى دراسـته مـن دار المعلمـين للتـو: وخـدم معي في الجيش ستة أشهر فقط قبل ان ينقل لمكان اخر.

- خسرنا كل شيء، بيوتنا، أقربائنا، حلالنا، وها نحن غرباء في وطن!

أجابهم احمد الطالب الجامعي في كلية الطب:

- لنهجر هذا البلد الذي لا يحترمنا؟

رد الأب بصوت أجش:

- أكرمنا بسكوتك.

ليغادر احمدُ ساحبا جسده من هذه الجلسة، أبنُ ذلك العجوز الثالث هو عاطل عن العمل بالكاد أنهى دراسته المتوسطة وبقى يبحث عن عملٍ لسنواتٍ ولم تسعفه قدماه لكي يبقى طويلًا ينتظر ضمن طوابير الانتظار السديمي! لكن هذا الشاب يمتلكُ وعيًا كبيرًا فقد مارس كل الأعمال التي تقلل من كرامة الإنسان حسب رأي أخيه احمد طالب الطب فهو عمل (منظف ليلي في مستشفى متحملا اهانات الأطباء، بائع في سوق شعبي، بائع سجائر في احد الشوارع، صباغ أحذية.) احمد كان دائما يعد هذا الأخ عارًا عليه وحينما يتكلم لزملائه عن أخوته يتجاهل هذا الأخ الثالث الذي تقرأ من هوية أحواله المدنية أن اسمه (ضمير) لكن ما ينادونه به في البيت (رائد) ولا اعرف ما المفارقة الجامعة بين الاسمين؟ الأخ الرابع كان معلما اقتفى أسلوب والده العجوز المتقاعد في منهج الحياة لكنه كان معقدا بعض الشيء كما يرى ضمير عفوا (رائد) بمقابل هؤلاء الأربعة ثمة زهرتان جميلتان واحده في ربيعها التاسع عشر طالبة في كلية الهندسة وأخرى في عامها السادس والعشرين وهي تسكن بجوارهم مع زوجها ذلك الذي يجهل حتى كتابة اسمه!!! كان كثيرا ما يفتعل المشاكل معها كونه زير نساء وغاوي خمر يكسر زجاجات الويسكي على أغراض البيت التي اغلبها من عطايا أهلها (حنان) كانت صبورة متحملة رغم عتاب

أختها طالبة الهندسة (عطاء) التي كانت تحرضها على تركه وهي تتحجج بان أطفالها الثلاثة هم سبب تحملها وبقائها ..احمد لا يتدخل بهكذا أمور كما امجد والمعلم المعقد! لكن رائد ضرب ذاك الزوج مراراً، لكنما دون جدوى على مقولة العجوز (أبو طبع ما يجوز من طبعه) ذاك الزوج بما يحمل من طبائع سيئة لكنه متشبث بوضع تلك العيون السبع الزرقاء على واجهة داره وعن أي شيء يخاف الحسد، وان رأى زوجته قد زحزحتها أثناء تنظيفها يضربها ضربا مبرحا حتى يحمر جلدها، ولا ينفض نزاعهم حتى يتدخل الجيران او أهلها! رائد لا يملك من الأصدقاء الكثير لكنه كان يعرف من يختار منهم ليصاحبه سواء في العمل او في ذلك الحي المكتظ بالمشاكل خصوص أثناء ظهيرة الصيف القائظ حيث تنبعث خيوط الشمس الحارة في أرجاء باحات دورهم تضج النسوة بالصراخ (ابنكم ذاب حجايه على بنتنا..) (ابنه مؤدب بتكم المتحرشة بيه) (أمهات السحورة.. ..) (عاهـ.. قـ.. ..الـ...) (.....) ويعلو صراخهن الذي يجعل احمد يرمي قلمه ونظارته الطبية وتجعله يسب اليوم الذي ولد فيه في هذه المدينة، ولا يتوقف الصراخ حتى عودة أزواجهن المرهقين من العمل بملابسهم الرثة!!، ويعود احمد يحلم بمغادرة هذا الكيان بعيدا عن أسواره وكان يفضل التسكع في دول أخرى على مقعده طالبا في كلية الطب!! كما فعل بعض زملائه! رغم ان العجوز كان يزج بذهنه ذائقته الوطنية!!! لكن هيجان الشباب وعنفوانه كان يمثلان حاجزًا كبيرًا، طالما كان أحمد يجلس مع رائد ويكلمه عن سحر البلدان الأخرى رغم

انه لم يرها فقط سمع من أساتذته في الكلية عن ذلك السحر!!! وبدأت مع الأيام فكرة المغادرة تختمر لدى رائد لكنه كان يخبئ ذلك عن العجوز وعن احمد رغم انه كان صديقا مقربا لعطاء المدللة (بزر الگعدة) كما يحلو للعجوز تسميتها، الأيام بدأت تأكل نفسها كما يأكل الزمن سنوات عمرهم وأيامهم وساعاتهم وكل لحظة تقتل من ساعاتهم الجدارية فهي لحظة فائتة منزلقة من هذا الزمن الغابر الذي بدأ يسرع كثيرا مانحا فقرا مدقعا لهم وترفا باذخا للآخرين!!! فكر رائد كيف سيكون الحال هناك في بلدان السحر والخيال! ولم يصدق نفسه بأنه سيترك مدينة الأزبال والنفايات والمياه الآسنة، مرقت اللحظات واذ بصباح جديد يرسل على دورهم الخاوية رذاذ مطر يمسح الغبار جلسوا جميعا على رسالة بخط يد رائد يخبرهم بأنه سيغيب لفترة بداعي حصوله على عمل في مدينة أخرى الكل تلقى الخبر برتابة عادية لكن احمد توجس خيفة من الأمر فرائد لم يفعلها من قبل! ظن انه ربما فعلها!! وقف على الشرفة متحيرًا:

- أفعلها المجنون؟

دخلت عليه عطاء وهي سارحة تتمشى بهدوئها المعتاد:

- ماذا فعل؟

- لا شيء، .لا شيء....

- قل لي بصراحة أين ذهب رائد؟

- لا اعرف لكني سمعته ليلة أمس يقول انه لن يتركك فريسة لهذا الزمان! وسيعمل على حفظ كرامة سكان هذا البيت ولا أعرف كيف؟!

أجابته بتعجب وقد تغيرت عضلات وجهها:

- انا، ما بيّ ؟

- لا شيء اتركيني ألان أرجوك.

بدأ وجهها يتغير وبدت عطاء تضطرب وعيناها اغرورقت على غير ميعاد بدمعها البريء:

- ما بك احمد قل لي؟

- رائد ترك لي رسالة ثانية يخبرني ان والدنا الكهل قد اقترض مبالغ طائلة لشراء هذا البيت ولدفع مصاريف دراستنا وهو يقوم بتسديد تلك المبالغ منذ أكثر من خمس سنوات وما زال في رقبته دين كثير...ولا يعرف هذا السر الا هو ورائد يريد لنا انا وأنت أن نكمل دراستنا.

- طيب وما الحل، ماذا سيفعل؟

- لا اعرف للان؟ أرجوك لا تكشفي الأمر للبقية، على الأقل حاليًا!

- نعم سأفعل....لن افعل!

بعد أيام مرت، خمسة، أسبوع، شهر، ستة أشهر، وصل مظروف إلى دارهم فيه رسالة ومبلغ من المال كتب في الرسالة (أنا بخير تقبلوا مني هذا المبلغ، أبنكم).

رسالة مقتصرة على بضع كلمات ورائد ليس بهاوي كتابة الرسائل لكن ما باله في الفترة الأخيرة يواجهنا بالرسائل! هذا ما كان يدور في خلد العجوز وفي نهاية حزيران كانت برقية عاجلة قد وصلت إلى مدرسة الأخ المعلم المعقد (يجب ان تحضر إلى العاصمة فورا أحدُ أفراد عائلتك في مأزق) جن جنون الأخ ولملم قواه ليخفي الأمر عن الآخرين ويشد رحاله صوب العاصمة وهناك في كبرى مستشفيات العاصمة كان رائد ينازع الرمق الأخير بجسد سليم وقواه الخائرة وقد سدد جميع ديون والده وأومئ إلى أخيه بان ثمة مبلغ طائل في البنك ينتظرهم وخصوصا احمد وعطاء ثم وغادر النور بكلية واحدة لم تسعفه للاستمرار، حالمًا ان يطال ذلك السحر في العالم الأخر!!وبقيت تلك النفايات والمياه الآسنة شواهد! ولكن ما جهله الأهل هو (كيف سولت له نفسه ان يبيع عضوًا من جسده؟ وهل باعه خارج أسوار الوطن ام داخله؟!) لان مشكلة العجوز انه كان يهذي ان رائد ربما ارتكب خيانة الوطن ببيعه عضوًا من جسده خارج أسوار الوطن! التفاصيل باتت لا تعني الشيء الكثير ما دامت النتيجة انه (فارق الحياة) مات وماتت معه صورة وطن هانئ باذخ بالراحة والطمأنينة،

لكن ثمة ما يقلق ذلك العجوز الذي بدأ يلفظ أيامه الأخيرة انه مؤخرًا بدأ يلاحظ تكاسل مريب من قبل (عطاء واحمد) فكلاهما يتغيب عن الدراسة، وهو لا يقوى على محاسبتهما وغير قادر بعد ألان على الصراخ! كنت انا الذي يحاول ان يعيد التوازن لأمجاد هذا البيت المنهار، لم يدرك اني كنت انهارُ أكثر من الداخل وقريتي كلها تنهار بالكامل دون ان يكترث أحد لبراكين الانهيار تلك، كنا نموت دون مواربة او ملاحظة من احد كل الذين اعتقدنا أنهم سيكونون صمام الأمان تاجروا بقضيتنا ، عدت في المساء الحزين الى مدينتي مرة أخرى... فقليلة جدًا المرات التي غادرت فيها أسوار البتران فانا أشعر ان بقائي في البتران هو مسؤولياتي إزاء أبنائها من الذين تعرضوا للإصابات، كنت أشعر ان هذا اقل ما يمكن تقديمه لأبناء تلك القرية البسيطة والبعيدة عن الاعين تماماً رغم انها في اغنى مدن الأرض بالبترول ، فهو الاخر تحول علينا نقمة وامراض سرطانية، اخذتنا سلوى الارق والتفكير لأبقى مستيقظًا في الباحة الخارجية للمنزل وانا احدق في السماء حتى الفجر حيث استمع الى أصوات العمال والمراهقين وهم يهيئون انفسهم للعمل كانت رائحة الملل والبؤس تعطر المكان بالكامل وممكن لك ان تستنشقها حتى عبر أميال، الساعة الأن الخامسة وخمس دقائق لا تكترث هذه الساعة بالآدميين فلا تطيل حياتها إلا بضع أسابيع تمرق كما يمرق الشهب فوق الرؤوس المترعة باللذة على السرائر الفضية، راديو الجار الثمل على الدوام يصيح بأغاني قديمة تناسقاً مع قميصه الممزق الذي يظهر به من نافذته بعد

كل رفع أذان المغرب من ذاك الجامع الذي يجاورهم فهو اعتاد ان يتلصص من شرفته المتهرئة على (سناء) التي تربي جيشاً من عيال الله ، بعد أن فارقها زوجها الذي تطاير جراء انفجار صاروخ تحته في البر الشاسع بقرية البتران، وقد دأبت سناء ان تخرج صباحا بعيداً عن أعين ذاك السكير بعينيه الغائرتين اللتين تتربصان بها الدوائر وثمة من اشترك معه بهذه الخصيصة وصاروا يرتادون نوافذهم المشرعة يوميا ويصحون باكرا من اجل مراقبة سناء أين تذهب؟ ومتى تجيء ؟ وصار هذا شغلهم الشاغل ودأبهم اليومي ..أحداهن تخاطب ذاك العجوز الثمل العائد من ليلة صاخبة في مقهى علي بابا وسط شارع الوطن:

-أنها تحمل أكياس لابد أنها تعمل في مواخير دعارة ؟! اللعنة العوز والفقر والحرب يفعلون كل شيء!

يجيبها وقد التوت رقبته وهو يطالع بإمعان من نافذته جارته البدينة التي أتهمت سناء للتو:

- أنها تعود ومعها أكياس ملونة ..لآبد إنها تبيع جسدها . والا من أين لها كل تلك الأكياس التي تجيء بها وإلا لماذا لا تعود مبكرًا! لازم نفضحها فضيحة!

والبدينة بثوبها الأحمر الفضفاض تكشر عن تجاعيد وجهها المحبب وهي تمد بجسدها من الباب الأمامي لتكلم جارتها التي افترشت باحة الدار وهي تخيط ثوبا وترقع ما فيه من عيوب -اعتقد أنها متسولة وليس مومسًا!

- ربما ..لأنها تحمل أكياس معها وهي عائدة يوميا وقت المغرب بينما تخرج متلصصة مع زقزقة العصافير باكراً قبل انسحاب خيوط الفجر حتى.

وإجابتهم جارة ثالثة:

- اعتقد أنها ... استغفر الله... ! الواحد ما يكدر يتهم حظه وبختـه!

ليخرج لهم الثمل وقد طرق الباب وهو يتوسل طلبا ان تمنحه قدح شاي تلك التي تتربص بسناء على امتداد الأسابيع.

- اعتقد أنها تمارس الدعارة من اجل المال ؟ لابد ان نجتمع ونطردها من القرية فوراً.

وثمة صوت ناعم خرج من فم فتاة ما زالت يافعة في مشوار الحياة هذه ومفاوزها ومنغصاتها ،ابنة هذا الثمل أنها زهرة اقتطفت زورا من واقع قاهر..

- حرام عليكم تتهمون المرأة باطلاً ...عندما مات زوجها لم يحرك أحد منكم ساكنًا ولم يكلف نفسه بزيارتها أو السؤال عن حالها ..فاتركوا المرأة تعمل ما تشاء.

-اسكتي أنتِ لا تتفلسفي علينا ...أنها عار على قريتنا!!

وبينما الجدال قد حمى وطيسه بين البدينة والبنت الناعمة والرجل الفضولي بدا أنهم سيكيدون مكيدة لتلك المرأة ، أنها في نظرهم فاسدة فاسقة ، امرأة هوى تبيع جسدها لمن هب ودب ..! فلا تستحق أن تعيش في وسط نظيف كوسطنا هذه أخر جملة خرجت من السكير قبل أن يفض هذا الاجتماع ما بين سكان الزقاق .وعندما بدأت الشمس تسحب نفسها من المدينة في اليوم التالي كان الجميع يرقب باب الدار لكي يروا خطوات سناء وهي تعود لبيتها انتظروا عشر دقائق قبل ان تباغتهم بخطوات متعثرة وكأنها تتلصص وهي عائدة كمن يتخطفها أخر ويركض ورائها لتهرع بقدمين متعثرتين لتطرق الباب على عجالة ..بينما راحت إقدامهم عجلى لكي توقفها عند حدها بعد أن حملوا معهم المصابيح وقد استفزتها البدينة بسؤال وبصوت جهوري أجش وهي تسخر منها:
-أنتِ، يا محترمة ..لقد كشفناك يا ساقطة عليك أن تغادري القرية ألان وفي هذه الظلمة وإلا حطمنا البيت على رأسك ورأس أطفالك!

سحبت انا نفسي من باحة الدار الى الخارج علني اتدخل لصالح هذه المرأة وانقذها من ظنون هؤلاء
أجابت سناء بصوت متلعثم خائف وجسدها يرتجف من أعلاه وحتى أسفله:

-انا...انا ..ماذا عملت... لماذا؟

-لا تتظاهري بالطيبة فقد انكشف أمرك لنا جميعا وقررنا طردك من البيت بدلا من عقابك...فأنتِ صرتِ تنغصين حياتنا..(هاجمتها أحداهن):

- وما فعلت انا ؟

-أنت تمارسين الدعارة ونحن نخشى على بناتنا الشابات هنا فلا نريد لمدينتنا أن تعيش فيها امرأة مثلك تلوث عقول المراهقات وتجعل مهنتك مستساغة لديهن.

-انا لم أفعل ما تفوه به لسانك يا جارتي ؟

-إذن ما هذه الأكياس ولماذا تتلصصين فجراً خارجة وتعودين بعد غياب الشمس ؟ ولماذا تخفين الأكياس عنّا ولا تقولين ما هي مهنتك ووظيفتك التي تأخذك النهار كله من البيت بعيداً عن بناتك اللواتي فتحت عيونهن للتو على الحياة !

- يا جارتي : انا أخرج صباحًا أبحث في نفايات الأغنياء عن ما تبقى

من فضلاتهم من خبز لكي أبيعه واشتري ملابسًا لبناتي الثلاث تغطي أجسادهن.. وما تبقى منه أعود به وجبة وحيدة لعيالي اليتامى بعد أن تخلى الجميع عني وتقطعت السبلُ بيّ في فترة ما بعد موت زوجي وانتم تعلمون أني تعرضت الأخرى للغم أصاب قدمي ولا أستطيع ان أعمل بالمهن الشاقة ولا أريد للأفواه القذرة ان تصيب اطفالي بالعار!

صمت الجميع وكنت انا منهم وأنسحب اخر خيوط الأمل من رأسي بعد هذا المشهد المأساوي ولكن يبدو ان هذه المدينة كتب عليها البؤس والضياع والتهميش والنسيان. كما يبدو ان (ذكرى القحبة) سيئة السمعة في تلك المدينة والتي شوهدت أكثر من مرة في ازقة شارع بشار كانت العلامة المظلمة التي تخيم على سمعة نساء المدينة اللواتي يخرجن للعمل، الحرب لم تدمر حاضر القرية بل قتلت مستقبلها كذلك تركت البيوت عارية وتحولت الى شواهد قبور كانت أجسادهم تثقل تلك الجدران الصامتة وتصيبها بالخرس وقد تقشر الطلاء في تلك الجدران من شدة الخجل وليس بفعل عامل الزمن كانت تلك الجدران بمثابة الصندوق الاسود الذي يضم اسرارهم وانكساراتهم النفسية، البعض من أبناء هذه القرية قصد محافظة أخرى للبحث عن لقمة العيش كانوا خلال مغادراتهم لا يسبحون عبر النهر بل عبر طريق دموعهم ودمائهم ذهبوا لمدن لا تعرف أسماؤهم ولا ملامحهم.

الفصل الرابع

(1)

في احدى النهارات الشتوية ولإشباع فضولي اقترح علي حكواتي المدينة ان ارافق مجموعة من رجال القرية وشبابها في أحدى رحلاتهم البرية للبحث عن لقمة الخبز فقصدت منزل الحكواتي جاءت لنا زوجته بقرص خبز حار من تنور الطين وطاسة لبن عليها قشطة وبعض الرطب من ما تبقى من نخيلهم، كنا نشم بقايا من عذوبة العشب المبلل في أمسية شتوية تزخ بعض قطرات المطر، رائحة الأرض بعد المطر في كل المدن جميلة الا في البتران فان عطرها هو رائحة الموت، فكل المدن تستقبل الفجر بهيئة جديدة ومشرقة الا مدينتنا تستقبل الموت المتجدد لا اعرف سر عدم الاهتمام بهذه المدينة ،واصلت سيري متذمرا وطافت علامات الاستغراب على وجهي ونحن نقطع المسافات ، رغم اني كنت قد شرطت عليهم ان أبتعد مسافة لا باس بها عن مكامن الخطر ومعي الحكواتي بالتأكيد ارتعشت أطرافي وتخبطت خطواتي رغم اني أعرف كل تفاصيل بيوت قريتي ولكن أحيانا أشعر بالعار لعدم مقدرتي على مساعدة أبناء قريتي وانا أراهم يبادلون خبزة معيشتهم بأعضائهم، ساد صمت طويل أوصدت حواسي متجنبًا غمامة الموت هذه ، بدت لي أحداث الساعة الماضية مثل وهم او كابوسُ في سماء الظهيرة التي تحولت من نهار شتوي لسماء حارقة، احتشدت الكلمات برأسي وتدافعت وهم يسارعون

بتجميع بقايا الحرب ساعتين او أكثر كانوا يجمعون تلك الخردة بفرح كبير كأنهم عثروا على كنز تاريخي، دليلهم كان يصيح بهم بضرورة التعمق اكثر في البر فان هناك ما ينتظرهم من الخزائن الدفينة! كانوا قد توغلوا حتى التمسوا وهج النيران من شدة الانفلاق، كأن البتران نصبت مشنقة وسط الحقول البرية، ملئت أجسادهم بالشظايا، تكدس البشر فوق بعضهم كأمتعة السفر، كان همام ذو الربيع السادس عشر يحتضن صاروخا عليه نقوش اقسم انه يكاد ينظر لنا بعينين تتقد جمرا وبقدميه الحافيتين قالها بصوت منكسر: اخ بوية ...كان في طفولته لا يسكت الا ان اسكته في شبابه صاروخا احمقا، لن نجد في هذه المدينة سوى المتاعب، اصبح المكان الذي يجثم امامنا اكبر مقبرة لدفن الأعضاء، انجلت غبرة المكان كان احد الاطفال يقف بالقرب من لغم فتحت الأرض بسرعة فائقة لتقذف من فمها نارًا قاتلة إزاء ذلك الصبي كان قد سقط على الأرض قبل ان يكمل جملته المتلعثمة، اختفى في لمح البصر تفجرت صيحة غضب من الرجل الدليل ، ثم ما ان تمر لحظات يأتون الرجال يتفحصون الجثث وينقلون منها ما يمكن نقله ، خرجت من صوابي وفزعت وشعرت لوهلة برعب يدب اطرافي غدوت اسيرا لتلك القرية ومأساتها، وفي اليوم التالي قال حكواتي المدينة نحن ندفع أرواحنا قربانا للتطهير عن آثام البشر، كنت اردد مع نفسي حينها : من كان يعبأ بموتنا؟!

همام كان يافعًا ولكنني لاحظته عدة مرات وهو يتصرف بغرابة كبيرة لم أكن أدرك تماماً حجم البؤس الذي ممكن ان الاقيه وانا متجه للضفة

الاخرى ، ضفة مبهمة، لا ادرك من خلالها أي رؤية لكنها كانت تراودني في أحلامي وتقرف مزاجي كثيرًا ، كانت أخر عبارة قد لاحظتها من همام هذا خطت على الجدران (وطن موت) خطها ذلك الشاب العاطل عن الحياة ، ليس تماماً ، شحوب وجهه ، نظرات عينيه ، توهج شبابه وفوران دمه ، كان ساخطاً على كل شيء بملامح مكفهره يبدو من خلالها كأنه وحش بجسد انسان ، ساخط لدرجة انه خط العبارة ببقايا طابوق اصفر متساقطة من منزله المتهرئ ، يبدو ان هذا الشاب كان شاهداً على انواع الموت في وطنه ، (انفجارات ، اغتيالات ، امراض ، تشوهات ، عبوات ، مفخخات ، كواتم ، واشكال اخرى من الموت) لذا أحب ان يسمي وطنه بوطن موت ربما قصد معنى اخر! لا اعرف سوى اني أحاول ان اطوي اخر صفحاتي في هذه القرية ، حيث اللا عودة ، لحظة فرقعة المهرجان تلك كان وطن موت حاضرًا امام عيوننا ، بشكله المرعب ، بتفاصيله المؤلمة ، بكل هيئاته المزعجة والمقلقة ، وطن موت كان يرافقنا كالظل القابع بذواتنا او الملتصق بخطواتنا انه وطن موت تربينا عليه منذ نعومة الاظفار واختلط ماء انهاره بحليبنا مهما قادنا لمجازر رعناء كان وطن موت صورة حاضرة معلقة على جدران ارواحنا المتيبسة من الانتظار واللا أمل ، كانوا يسيرون، لم يفهموا من الوطن شيئاً كانوا يتبعون كبيرهم فقط ، لم يروا سوى حروب متكررة وصواريخ تمثل لهم الموت بأبسط صوره، بعض الفتية كانوا معهم لم تختزل ذاكرتهم حرب الثمانينات لكنهم حتماً سمعوا أوجاعها من اباؤهم ، يا لقساوتكم ايها الكهول

تقصون علينا المواجع دونما فائدة! لماذا لا ترضون لنا ان نكون بذاكرة بريئة خالية من رائحة بارود الحرب واصوات الرصاص والصواريخ القادمة من كل اتجاه.

***

(2)

تركت الحرب اثارها مختبئة تحت ارض قرية جرف الملح تلك الالغام الزاحفة نحو النهر كانت قد قطعت قبل سنوات فتاة جاءت الى النهر لتغسل ملابسها فاختلط دمها بدمعها مع النهر الجاري، قص لي الحكواتي تلك الحادثة وأردف قائلًا:

- كانت تلك ام همام ، من الوافدين لقريتنا بعد التسعينات. ام همام هذه كان لديها فتاة أخرى ، ولدت وهي مشوهة، صاروا ينجبون اطفالا بترانا ربما بسبب التلوث او ان ابائهم كانوا يضاجعون الالغام خلسة، او ان الامهات كنّ يتوحمن بالألغام! يقول الحكواتي انه سمع ذات يوم احد أطباء القرية يقول ان هذه عواقب الحرب ولادات مشوهة ومدن ملوثة باليورانيوم المنضب تؤدي الى ارتفاع حالات التشوهات الولادية وسرطان الدم والرئة وحتى العظام والكثير اصيبوا بتلف الكبد والكليتين والجهاز المناعي فالبتران تحولت من كبرى المزارع والبستانين للنخيل الى كبرى مزارع الألغام 36 نوعًا من الألغام بصناعة دولية متعددة الماركات وكأنها تعدد خيارات الموت

لسكان تلك المدينة، ففي وطني ساحات الموت بحجم السماء والأرض والماء لم يعد فيه أحلامًا او آراء او ذكريات، فالنار تلتهم كل شيء، أصبحت البساتين جنة الفقراء المفترضة مقبرة لأحلامنا، يبدو ان هاري شارما كان دقيقاً ومصيبًا حينما زار البصرة وتنبأ بموتنا النسبي.

قلت للحكواتي بصوت مهزوم من تبقى لهمام ؟

- عمه بعده عايش (أجابني بصوت منخفض يخبئ خلفه حكاية أخرى من غرائب هذه المدينة التي تركتها في بعض السنوات فتاهت علي بعض ذكرياتها ولم الحظ تغيراتها خصوصا مع الوافدين)

وأردف حديثه مسترسلاً:

- عمه الجبير مات قبل سنة بجرف الملح.

مات الراعي أبو عبدالله احد اهم رعاة جرف الملح ، كان يسير سارحًا تحث اقدامه الخطى بعدمية مطلقة توغلت إحدى أغنامه في تلك المساحات المرعبة ولم تكن ثمة علامات تحذيرية في تلك البقعة ، جارى اغنامه بالمسير ، لحظة ساد الصمت شعر ان الارض تزلزلت من تحته لتخطف قدمه اليسرى وبعض أجزاءً من منتصف جسده سقط وخلف سحابة من الغبار حاول ان ينهض ولكن جسده هذه المرة خذله

حجب الغبار المتطاير قرص الشمس... نظر الى ساقيه فشاهد لأول مرة عدم اكتمال نصابها... دماء تملء المكان وتتسرب الى اعماق الارض ...تلك الارض العطشى للمزيد من الدماء هنا يتحول الغبار الى قصص اجهضت احلام العديد ممن انتهى بهم المطاف مقطعين ، حتى الأنهار القريبة لم تعد قادرة على غسل دماء الحرب عن تلك الوجوه الكادحة ،رغم بشاعة الموت وقساوته الا ان افراد قرية البتران يمشون لهذا اليوم حفاة مبتسمين غير ابهين كانوا يقايضونه بكرامتهم ولقمة عيشهم فاصعب ما قد يواجه الانسان هو الامل الضئيل ، اعتذارات لن تأتي ابداً، وعالم لا يراه احد غير ابناء تلك القرية يتأملون موتهم بعفوية ذكرياتهم حزينة وتنزف دمًا في قلب كل فرد في هذه القرية ثمة حكاية اغرب من اختها فالإنسان في البتران كان يخشى صوت البلابل والعصافير أكثر من صوت الانفلاقات ، الليل في البتران مأوى موقتًا للمنتظرين لمستقبلهم المجهول، وصباحهم موعدُ مع الموت والقنابل كانت وما زالت البتران تستيقظ كل صباح على سؤال واحد :

- من أصابته بقايا الحرب؟

كانت اثار الجنود والحرب هي الذاكرة الملقاة في تلك المدينة فمنهم من قتلته الحرب ومنهم من قتلته اثار الحرب وكثيرًا ما حكى الناس عن أرواح جنود حرب كانت عالقة في ازقة هذه المدينة ، البتر لأعضاء الناس هناك عاديًا لدرجة لم يعد خبر تعرض أحدهم لقطع في احد

أعضائه ذات أهمية للأخرين ، كانت أبواب البتران مفتوحة للموت في كل لحظة ، والندب التي توشم أجسادهم كانت العلامة الفارقة التي تميز أهالي البتران، كانوا يتسلون مع ذاكرتهم عن الفقد والموت... فقد صنع الموت منهم ايتامًا وارامل وذاكرة يقظة حتى انهم صاروا يفقدون دهشتهم من الموت...لم تكن أصوات البلابل والعصافير هي من توقظ الناس في تلك المدينة بل كانت أصوات الانفجارات التي تهز الأبواب والنوافذ، كل القرى تنام على أحلام الخلاص من الموت الا البتران كانت تنام وتحلم ان تستيقظ على المزيد من الصواريخ والقنابل ،كلما سقط أحدهم اتسع الرزق لأخرين ، كان رجال البتران يمشون فوق ذاكرة الموت لا يعرفون الى اين ينتهي بهم المطاف ومتى يبدأ اللغم بالحياة ، كان اللغم من الانتظار المجهول... وسلواهم ان الروح ستبقى حاضرة وان فقد الجسد جزءاً منه .... المرايا في قرية البتران ضيف ثقيل وغير محبوب لأنها كانت الذاكرة التي تقول لأهالي البتران يوميا ان ثمة عضوًا مفقودًا في جسدهم .... في اخر الليل وحده صوت النهر كان يعيد لهم الامل بوجود الحياة وأحيانا بعد يوم مرهق في عمل البحث عن الخردة كانوا يعودون للنهر يغطون فيه عميقًا تشعر كأنهم يغتسلون من ذنوب لم يقترفوها بعد!

(3)

ثمة أفكار تلاحقني تشدني الى القاع... أهرول نحوها أحيانا لكنها تربك رتابة المكان أشعر لحظتها ان الزمن قد توقف في البتران أتذكر ذات يوم اختلط البكاء لدينا بالضحك... حينما كان عقل ذلك الرجل يسجل حضورًا في رأسه ، رجل الخرابة المجنون المسالم الذي لم يؤذ احدًا قط رغم مطاردة الصبية له يوميًا ، ذات يوم ربيعي توغل خروفه بالحقل البري وكان يهرول وراءه بهستيريا أتذكر فقط كيف جاء بذلك الخروف في طست مملوء من لحمه المتشظي... أتذكر انه بكى عليه اسبوعًا كاملًا فقد كان يعتقد ان هذا الخروف جزءُ من عائلته وحينما كنا نضحك لغرابة الموقف أمطرنا بسيل من الكلمات القاسية والفشار بعدها ضاع صوته في فمه وأبتلع صرخته، الدموع تلمع في عينيه، مع دوي كل انفجار تدوي افكار مضطربة في البتران ،الناس في البتران يصرخون حينما يحدث الانفجار لكن ذلك المجنون كان يضحك بهستيريا وتختلط الهستيريا بكلماته المتطايرة من فمه:
- مات مات مات مات واحدُ جديدُ.

كانت السماء تنث مطرًا خفيفًا حتى جاءتني فكرة مجنونة زارت عقلي الذي أجزمُ انهُ لم يكن عقلًا كاملًا فالبتران صارت تضم العديد من الأعضاء البشرية والحيوانية : عيوناً، اقداماً، أيدي، رؤوساً، حتى إننا تخيلنا ان ذات يوم تتشكل هذه الأعضاء بهيئة انسان عملاق ينقذنا مما نحن فيه ...حينما يغمر الليل قرية البتران كنت أتكوم على نفسي وانام

مصحوبا بالذاكرة والكوابيس والموت والحرب كانت اصوات الانفجارات تقطع صوت النهر، وحده النهر بقي يجري في هذه المدينة، يقول هذا المجنون وحده النهر لم يخف من الحرب او الانفجارات كان دوما ما يطرح سؤالًا ساخرًا:

- ان كنتم تحمون الأوطان فمن سيحميكم أنتم الجنود؟

كنت في الجبهة اقول غدًا سينتهي كل شيء انتهت الحرب ولم ينتهِ كل شيء، حكواتي المدينة ومختارها فيما بعد عمل لفترة وجيزة سائقًا للطبگة همس لي ذات يوم وهو يدفع دمعة خجولة والتماعات متقطعة تبدو على محياه ونحن نعبر للضفة الأخرى بانه باع حاجات البيت واحدة تلو اخرى الشبابيك الابواب ، غرفة النوم،الثلاجة، لم يتبق سوى الراديو القديم وصار يرى الدنيا من خلال ضوء الفانوس واللالة التي تعتمد على الكيروسين والفتيل لإنارة ليالي البتران المظلمة، ويعيش على قوالب الثلج بدلاً من الثلاجة ، اعتادت عيناه هذه المشاهد في قريته فكل أبناء قريته فعلوا الامر نفسه ... كانوا أبناء البتران يركنون جميعا الى صمتهم وكأن شعورا غريبا يلدغهم يوميا ويهرس وجودهم.

في البتران كان جعفر من القلائل الذين وصلوا الى الجامعة وذات نهار اخترقت لسعات الهواء قميصه داهمه خوف كثيف هاجسًا ما فتئ يعذبه محاطا بكوابيس لا يستطيع الفكاك منها و في مقهى صغير كان الناس يستمعون عبر المذياع ما يجري من أوضاع سألني ذات يوم :

- لماذا أصبحت ضعيفا أكثر مما ينبغي يا عم محسن؟

تجمدت في مكاني وبكيت لأول مرة بحياتي انا الذي لم تبكني أعتى الحروب والهجمات وأقسى مشاهد الموت وبدت لي ان الحياة قد توقفت تماما في البتران.

رحت أخفي دموعي تحت غطاء كبريائي المعتاد فباغتني بسؤال اخر اشد ضراوة ولعنة:

- ما الذي يجبرك على البقاء في هذه القرية؟
قلت له بصوت واضح ويقين مهزوز:

- لعنة الذاكرة يا بني!

كنت المح بين يديه بعض كتب التاريخ وكان الوحيد الذي يدرك مآلات البقاء في هذه المدينة ، بدأ النهار يلملم اطرافه بالرحيل ويجي ظلام جديد على البتران ، ادرك جعفر اخيراً الخراب والموت سيطيلان اقامته في هذه القرية، كانت المدينة في الليل تئن انينا ثقيلا لا يشعر به أحدا، صداع يحرث رأسي منذ أيام، وثمة جروح مضمونة وراسخة في جسد البتران لم تكن في ذهني هناك اية فكرة محتملة عما سيؤول وضع القرية ، نباح الكلاب خارج أسوار حدود البتران كان يصل الى منازل القرية بوضوح في الليل، المح خيالات الوجوه الخاسرة عبر

ستارة الباب الخارجي ... مدينة متشحة بالسواد... المدينة التي تحمل في احشائها عذابات من نوع خاص، غلقت منافذ الحديث والحياة وقد اجتاحني أحساس سريع ومفاجئ بدد الضيق الذي بداخلي بلعت ريقي، وبداخلي تمور الاسئلة الغريبة حتى جاءني الحكواتي بخبره الجديد :
- هل تعرف طلبة الجامعة جعفر ورفيقه الاخر الملاصق له على الدوام؟

- أعرف جعفر ...لكن من زميله الاخر؟

- ليس مهمًا الان.

قلت له بصوت مرتبك :

- ماذا حصل ؟

- أحدهما أختفى دون سابق انذار والاخر هرب الى الأهوار؟ هذه حادثة واحدة صغيرة من حوادث البتران، ظلوا للحظة صامتين، جعفر ترك رسالة أراد أن يوصلها الحكواتي الى محسن إيقا كتب فيها : (غادرت لأني لم أرد ايقاظ جروح هذه القرية) كان جعفر دائما ما يحاولُ الركض خارج هذه المدينة ولكن لم تطاوعه قدماه، كان يمدد جسده على الأرض في الليل وتنشأ عيناهُ تعاينان السماء... كان يمسد على جسده وكأنه يحاول التأكد من وجوده بعد ان يسمع بكل انفجار

لغم في قريته، كان قد شهد أكثر من فقدان لشاب من قريته والشظايا ترقص في أجسادهم...كان يستغرب بدهشة ما الذي يدفع الانسان للذهاب للموت بقدميه، وأسئلة أخرى كانت تدور في خلده وتحفر رأسه... غادر القرية بعد ان خنقته تلك الأسئلة وبدت تتراكم داخله...أنفجر وهذه المرة كانت قدماه قد طاوعتاه ان يركض بعيدًا عن قريته.... كانت المغادرة تلك تمثل نقطة اللا عودة او عبور الروبيكون.

وحده ذلك الأخرس مفتول العضلات الذي كان يطلق عليه أهالي القرية (حيدر الاخرس) كان مطمئنًا لا يعرف له وجع او بكاء كان صامتًا كالجَمَلِ وهو يقطع الصحراء صمته هذا قد انقذه من الموت في مرات عديدة، كان صباح اليوم التالي لاختفاء جعفر وصديقه هو حقبة جديدة من حياة حيدر الأخرس كان جسد حيدر يروي صمود القرية بأكملها ، القت به الاقدار في اتون حرب البتران المستمرة... كان الجميع يصرخ من الموت والخوف؛ الا حيدر كان يشاهدُ ذلك بصمت وهو الوحيد الصامد وسط هذا الخراب والموت ففي احدى ايام الحروب الدامية كان حيدرُ الوحيد المتبقي من مجموعته التي أبيدت بالكامل على الساتر وهو ينظر الى اصدقائه يتساقطون واحدا تلو الاخر وعند سقوط كل واحد منهم كانت تتناقص الحروف في فمه حتى أطلق صرخة مدوية لم يتحدث بعدها بحرف واحد ،اخذت منهُ الحربُ صوتهُ... كان حيدرُ بطلًا في ساحة الحرب قصت عنهُ الحكايات التي

لا يصدقها العقل، كانت المرة الأولى التي يسمع فيها محسن إيڤا حيدر عضلة وهو يهمس في ظلام دامس لأمه بما حصل في ذلك اليوم كان حيدر يبكي ويقول لها ان أخيه التوأم وقف وسط الرصاص والقصف وهو يضحك بهستيريا غريبة حتى قطعته شظايا الحرب كأنه يرقص الرقصة الاخيرة ... بعض الجنود فقدوا عقلهم في الجبهة وخذلتهم اجسادهم، كان يحكي لها عن صراخ مكبوت في داخله، الم يتسربل بصورة يومية ليسجنه في ذاكرة مؤلمة مشبعة بأصوات الرصاص والصواريخ واهات الجنود. لم يعد محسن يهتم فهذه حادثة أخرى من الحوادث العابرة في البتران قصة ليست غريبة فالكثير من أبناء القرى كانوا يدَّعون الجنون او الخرس ليهربوا من واقعهم المرير! وحيدر أحدهم وقد غادر اخر من يعرف بهذا السر (جعفر) وها هو يسلم السر الى أمه! هل يعقل ان أمه أقرب الناس له لم تكن تعرف ان هذا الصلب الصامد كان لديه لسان كامل وصوت ممكن ان يدوي في ازقة القرية ، لكنه فضل الصمت، الصمت المطبق مثل صمت الاموات، محسن إيڤا اكتشف ذلك السر وهو يدخل سيجارته في باحة المنزل المتاخم لمنزل حيدر عضلة، لم يشكل هذا السر غرابة لمحسن إيڤا فقد كان يشاهد ويسمع ما هو اقسى واغرب، كان مشوشًا بعض الشيء وتتلاطم داخله العديد من الأفكار التي تبدأ ولا تنتهي ابدًا..

لحيدر الأخرس هذا خالة تسكن في القرية ذاتها أسمها زهرة، عائلة كاملة تعرضت للبتر بعد ان أنفجر عليهم لغم، توفت أمهم في الحال وأصيب أطفالها بإعاقات مختلفة ، نال زهرة الأرثُ المدفون في البتران فقد أصبح الظلام رفيق اطفالها بعد ان تنازلت قسرًا عن حياتها، فبات أطفالها يتحسسون طريقهم بصعوبة بالغة لأن الكنوز التي يمكن ان تبحث عنها في البتران هي (المقذوفات والقنابل والصواريخ) في باطن الأرض! بحثوا عن كنز يأويهم من شراسة الجوع وذلته، بعينين متوثبتين كانوا يحاولون تمييز الألغام والقنابل لاغتنامها! ولم يدركوا أنها ستغنم بأرواحهم! في رحلة الموت هذه، كان يرافقهم رجلٌ تربطه بزهرة صلة قرابةٍ من بعيدٍ وكان يسميه أصدقاؤه في القرية (أبن أمه) لشدة تعلقه بها فهي آخر ما تبقى له في هذه الحياة، وكانت هي دائمًا ما تحذره من هذا العمل ولكن الجوع كافر! أختلطت دمعاته الساخنة مع حبات التراب الملتصقة بوجهه الأصفر من شدة الجوع والمرض، كان يكافح لكي يمد يده التي غطتها الدماء الى جيبه ليتزود بنظرة أخيرة من صورة أمه التي كانت ترافقه أينما ذهب كأنه حاول ان يعتذر منها ومن قلبها الذي سينكسر لرحيله...خطوة واحدة خاطئة كانت كفيلة لسرقة طمأنينته وأحلامه وبلحظة واحدة أسترجع شريط ذكرياته كاملًا ثم أسلم أمره.

يبدو ان المعارك لا تتوقف عند إيقاف تلقيم البنادق وحسب ،طلب محسن إيقا من حكواتي المدينة ان يزور هؤلاء الأطفال ، تجمدت عروقه وشخصت عيونه، ذلك المشهد كان كفيلا بان يتجمد جسده بالكامل، أراد ان يشيح ببصره ويهرب، تجمعت الدموع في عينيه، وعقدت الدهشة لسانه وداهمته دوامة من الانفعالات... تسارعت دقاق قلبه ، وغمر روحه اليأس والاسى، حاول ان يشيح بوجهه عن قرية

جرف الملح داهمه الخوف واستحوذت فكرة الحرب على تفكيره مجددًا، وشم زوج زهرة بالخائن من قبل رجال الديكتاتور فهدموا منزلهِ أمام الملأ بعد ان ارسلوه الى بارئه، هل هذا هو الالم الذي يصنع حياتنا يسأل إيڤا نفسه؟ لقد ركن الى صمته ، الغام تقطعهم كنصال حادة تقطع الأغنام ، استسلمت لخوفي كنت احاول ان ارتب والقي جملي بهدوء ، لم يعد إيڤا يصغي لصوت الموت فأطفال وشباب البتران يذهبون هدرا بالقنابل، كانت عائلة الاخرس تقاطع عائلة زهرة قبل ذلك ولكن كل الحروب الفردية والشخصية في البتران تتلاشى ازاء حربهم مع القنابل الموقوتة شعرتُ بوهن يغزو جسدي كما يغزو الموت بالقنابل قريتي ، هكذا كانت علاقتنا بالبتران مثل أحلام فتى مراهق بامرأة جميلة مشتهاة صعبة المنال، كان يقول محسن إيڤا انه كان يتكرر عليه كابوس شبه يومي كأن قائدهم في الحرب بجسد بشر ورأس حمار يركض ونحن نركض وراءه في صحراء مترامية ثم ندخل بساتين كثيفة ثم نلج الى نهر لا نهاية له حتى نجد انفسنا في الصحراء مجددًا دون ان نعرف الاتجاهات التي سنخرج منها وقبل ان نجد المخرج كنت اصحى والعرق يتصبب من صدغي وقميصي يلتصق بجسدي واتنفس بصعوبة، ابحث عن ظل صغير لأختبئ فيه لما تبقى من عمري هي رغبة اندلقت في شراييني بشفاه مرتبكة وهي تعض على بعض الجمل كنت كلما أحاول ان اغلق نفسي بصمت رهيب تداهمني صورة الأطفال...حاولت ان أتصنع التبسم فيزجر عقلي هذا الزيف ففي البتران يقاسي المرء الوان الموت ولا مزيد من الزيف، ما ذنب هؤلاء؟ أعمار لا تتجاوز الثانية عشر؟ (قلتها في نفسي حائرًا) فجاء الجواب يمور داخلي : ان المرء في البتران مضطرُ لان يتعلم مهنة البحث عن بقايا الحرب انها بحق مهنة البحث عن المتاعب، كنت اجيب بأنصاف الكلمات واحيانا بأرباعها، أستطلعتهم باستغراب

وانا ترتسم على وجهي الغرابة الضجرة ...رشقني أحدهم بنظرة حزينة وقد ارتسمت ملامح الصدمة على وجهه وكأنه يوهم نفسه بان سيعيشُ حياة قادمة أفضل مما مرت!

اللعنة أنهم يشربون الماء الملوث... ليس هذا حالهم وحسب بل حال كل القرية.

- الاوغاد الحمقى أنهم يقتلون القرية (قلتها بصوت مبحوح يكاد لا يصل الى الجدران المتهرئة للمنزل).

صارت أحلامهم سديمًا... والبتران نضبت قواها من فرط نزف رجالها وشبابها، يناديهم يوميا صفير القنابل، وما ان تنقضي ثوان حتى تتضح لك قصة جديدة وألم جديد ، دب الضجر فِيَّ ، بنظرة زائغة لمحت حكايات قادمة أكثر بؤسًا وقساوة في عيني هؤلاء، وقبل ان أغمض عيني لهول المشهد اخذت احدث نفسي بما قاله ذلك المجنون حينما سالته لماذا أنت بهذا العمر ودون أولاد:

- أخاف أن أنجب المزيد من الموتى والحطب للحروب المقبلة! وهذا المجنون الذي كنا نسميه بالفيلسوف الذي اجنه الحب كان كلما مات احدهم في انفجار لغم:

- هم أبناء الارض منها واليها يعودون.

كان يقول لي بسخرية مفرطة والحروف تتطاير من فمه بصورة بطيئة وناقمة : ان ثمة سؤالًا واحدًا يتردد في رأسي كيف يعانق المبتورون أمهاتهم وزوجاتهم وأطفالهم؟

حتى ذلك الشاب الذي تكفل برعاية هؤلاء الأطفال، ثرثار القرية وعارفها بالقول والجرأة زير النساء أخصته الحرب بعدما بُتر عضوه الذكريُّ كانت تسميه نساء القرية (مؤيد الخنيث) ليالٍ قضاها يبكي بهستيريا وحاول أكثر من مرة أن ينهي حياته، تطاوعه أفكاره، ثم تتمرد، إلى أن أطفأته نصيحة الحكواتي ان يبقى معيلًا لهؤلاء بوصفه يتصل بقرابة بعيدة بهم، فيما بعد، سمعتُ ان إحدى المؤسسات الإنسانية أجرت عملية زراعة قضيب لمؤيد في أحد البلدان الأوربية، وكان العضو لشخصٍ متوفًّى حديثًا!

لبثتُ على هذا الحال لدقائق... انتزعت نفسي من هذا المنزل، نطقت بلعنات لم يفهمها أحد ومضيت..

في المشهد الخارجي ثمة ما يختلف، يتوزع الاطفال في الطرقات لممارسة لعبهم الأولاد يلعبون الخرز(الدعابل) او العاب أخرى تتطلب منهم ان يرسموا خطوطها بالماء على الأرض !والبنات يلعبن الطاق، كان الحكواتي كعالم آثار يفتش عن القصص في البتران وهو دليل المدينة وبوابتها، كان يسارع في الدخول بالمواضيع دون مقدمات، كان المساء قد تقدم حين سارعنا الخطى لمنزل نجم المعوق (هكذا كان يسميه أبناء القرية) معاق بلا رجلين ودون ايدي يتحمل ثقله الكرسي المتحرك، قلت له ساخرًا :

-لسانك الوحيد الذي لم يبتر! فعاد لأسطوانته اليومية ، شتم وسب الكل بأشنع الالفاظ واشدها قساوة كانت شتائمه تمتزج بين السخرية والالم ، تنتهي بنثر حبات دمع متوارية في عينيه، القيت عليه نظرة عطف لم تعجبه بالمرة .كان يجلس يوميًا مع سرب العمال الذين يصطفون مترقبين من يستأجر عافيتهم، لكن من يستأجر نجم المعوق؟ هذا ما

كنت أقوله مع نفسي واستغرب من إصرار نجم على خروجه يوميًا لهذا المسطر مع العلم انه يدرك تماما انه لا شيء فاعل في جسده سوى لسانه وقلبه النابض بذكريات الحروب ، معاق حرب هكذا تقول الوثائق عن نجم، لكنه كان يجيد معرفة الطرقات، طرق البحث عن الألغام المخبوءة كان يمر عبر نجم، وانا الذي يحاول ان يهرب من صورة الحرب فكلما أغمضت عيني لأغلق يومي تعود لي كوابيس أصوات الصواريخ والرصاص وصرخات الجرحى...أتذكر يومها كنت جالسا استدفي بموقد (صوبة) علاء الدين يوم جاءني ملازم أحمد ليخبرني بما حدث لنجم في الخطوط الأمامية من الجبهة، لم يصرخ حتى ولم يبك رغم شدة الإصابة وهول الموقف! صار بعد ذلك نجم المعوق! تعبر فوق القرية غيمة رمادية محملة بالموت، فاسند ظهري على جذع النخلة التي تتوسط شارعنا أشعر أحيانا ان ثمة ظل يطاردني اسمع أصوات اقدام تلاحقني ربما هي أرواح من ابتلعتهم الحروب..تتسع عيناي فزعًا لثوان فقط تلامس اقدامي الحافيتين تربة الأرض المبللة كانت البتران تغرق في بحر من الرطوبة (الشرجي) فكل شيء هنا أصبح دبقًا لزجاً ليس الدم البارد المسفوح وحده! انفاسنا تضيق من الهواء نستنشق جرعات ساخنة من الحياة، ارخى إيڤا جسده ومنحه حرية الانسياب مع التيار في النهر ، ضحك كثيرًا وبكى أكثر داخل النهر وكأنه كان يغتسل الغسلة الاخيرة من خطاياه والامه، بدا له النهر كسوًلا بحركته والافكار المتلاطمة على راسه سريعة ... سريعة جدًا الى حد تحولها لصفعات متواصلة، كأنه أراد ان يرمي كل هواجسه داخل النهر ...النهر متجهم يلفظ الاجساد ...كان الفجر والساعة الاولى من ضوء الصباح يلفعها الضباب يوم عزم أمره بخطى خفيفة ، والجرح لم يشف بعد أحس بتلك اللحظة بانه قد أضطرب كل شيء في البتران لم يستطع ان يرى السبيل بالكامل من

كثافة الضباب لا يكاد المرء يبصر شيئًا، خارت عزيمته عن كل الأحلام...كانت عيناه تدوران في القرية وهو يتخيل ان قرية البتران عبارة عن نعش كبير، تجرد من كل دفاعاته وصارت تستحوذ عليه فكرة مغادرة القرية وتطارده كحيوان مفترس جائع يحاول ان يلتهم فريسته الضعيفة، كانت نظرة أخيرة مثقلة بالمعاني والأسئلة التي لا إجابات لها!

(4)

كان آخر شيءٍ قد رأهُ محسنُ إيفا في البتران هو مشهد قطع ما تبقى من النخيل وتحويلها إلى سقوفٍ للمنازل ، كان شاهدًا على موت قرية بأكملها فلم تعد البترانُ تلك القرية التي عرفها بالأمس ، فلم تمت البتران في الحرب بل ماتت بعد انتهاء الحرب .

هاجر الكثير من أبناء القرية ووفد آخرون، وبقيت ذاكرة الموت تحيط بأسوار القرية وأزقتها ومنازلها ... الاشجار السامقة غدت تحترق في تنانير الطين ... بدت القرية من بعيد كمقبرة ورماد الذكريات يحكي عن السنين التي احرقت الحرب خلالها هذه القرية ، كانت ذرات ترابها تتناثر مع الريح، والخطوات تبتعد عن اطلال البتران...أتذكر آخر حوارٍ دار بيني وبين صديقي الجندي المطوع (باسم عبدالحي) حينما قال لي أين تقع البتران قلت له :

- حيث تنتهي الحرب...تلك هي البتران !

في احدى الصباحات كان محسن إيڤا يطالع صحيفة محلية كتبت مانشيت عريض : ((تحتاج الدولة العراقية إلى أكثر من 50 عامًا لرفع ما تبقى من ألغام الحروب وذخائرها المنتشرة بمناطق جنوب البصرة وشرقها))

أي عام 2068 قال مع نفسه وهو ينفث دخان سيجارته وكأنه يحرق ما تبقى من ذاكرته او يحرق حسرة في صدره :

- سنبقى نموت حتى عام 2068؟!

أيام البتران مثقلة ليست ككل أيام القرى، الوقت لا يمر بسهولة بل كان يربض فوق صدور الأهالي هناك فالقرية هي الأسرع نموًا من حيث الموت...كان الموتى هناك ارقامًا تضاف لإحصائيات الدولة والصباحات تجيء تجر اذيالها وكأنها تكره حلول يوم جديد حتى لا يموت او يتعرض للانفجار فردًا جديدًا من ابناء هذه المدينة ، وجوه النسوة في البتران تيبست من فرط البكاء على الموتى والأعضاء المنفلقة، والسؤال الذي يدور في أرجاء مجالس العزاء في قرية البتران: من التالي؟ كل خطوة نحو لقمة الخبز هي خطوة نحو القبر!

انعزل في عالمه وأظلمت ملامحه ، كان يسحب آخر نسمات الهواء من قريته تلك ، يمتزج بؤسه مع التبغ يرسم الغيوم الرمادية بدخان سيجارته ، تتصاعد مع انفاسه لتسبح في الفضاء دون رقابة او حدود ، تختلط ذاكرته مع وجعه يشاهد عمره المحترق وهو يمر أمامه كشريط سينمائي قصير، كل ما بداخله تحول الى كومة حطام كل الرغبات لديه ماتت وتكلست كان يجتاز يومه بصعوبة وصمت مطبق.

لم يعد وجه محسن إيڤا من الوجوه المألوفة في قرية البتران كان يتوارى خلف سلسلة أوجاعه تطارده ذاكرة الحرب وصور الموتى من الجنود الذين كانوا بمعيته... كانت جل أحلامه كوابيس حربٍ تفزعه مع الخيط الأول للصباح ليدرك ان كل ما كان يعيشه مجرد كابوسٍ... كابوسُ طويلُ لم يجرؤ يومًا على أن يقول أن هذا الكابوس سينجلي صار العالم بالنسبة له لا معقولًا لذا صار يكثر من مجالسة مجانين المدينة أكثر من عقلائها!

كانت الساعة الخامسة فجرًا حينما ادرك محسن إيڤا ان هذه المدينة لم تكن مدينته التي عهدها وان الناس الذين عرفهم في جرف الملح كانوا يتلاشون يوما بعد يوم ...أجهضت أخر آماله في البتران ...فخلف وراءه رائحة الذكريات التي تحولت الى رائحة موت وانفجارات ، لم تستوعبه الجدران ولم تقيد خطاه...كانت ذاكرته المعطوبة تلالًا من الركام ... حدق الى ظله الممتد فبدا وكأنه ظله يحاول الهرب من جسده المثقل ، ادرك ان ظله بدأ يتلاشى ويتحول الى غبار يتصاعد في هواء المدينة ،فتجاوز جدران المدينة وبدت في نظره وكأنها مدينة غير مأهولة، ادرك محسن إيڤا انه لم يكن يومًا سوى حكاية حرب لم تنتهِ بعد!

***

(5)

يقول عصام الأسود انه أراد ان يزور قرية البتران من أجل مفاجئة صديقه بوجوده بعد ان ايقن محسن إيڤا بانه قد مات بعد ان اختفى لسنوات، وصل الى البتران بهوية مزيفة وخلسة من العيون المتلصصة لأبناء القرية ، ما يثير الاستغراب والدهشة ان أغلب الوصول يكون

متـأخرًا...توقفت قدماه عن الحركـة وأصبح الهواء يصـل بـبطء الـى رئتيـه وهو يخطـو نحـو تلك الخرابـة ... الجدران المتهالكـة لـم تجعلـه يتسمر في مكانه ، ما بين تلك الفوضى قد وجد عصـام الأسـود مسـودة رواية في خربة مهجورة من قرية البتـران كـان عنوانهـا (جـرف الملـح او قريـة البتـران) عبـارة عـن أوراق مبعثـرة مكتوبـة بـدفتر ملاحظـات صـغير وبقلم رصـاص ذيل باسم محسن إيڤا وكانت حول الروايـة ثلاثـة جثث أحداهما لمحسن إيڤا والجثتان الأخريان تعرف عليهن احد وجهاء مدينة البتران واسمه (الحكـواتي أبـو صـائب) قـال أنهمـا لمجنونـان مـن مجانين المدينة ، اللذين كان يجالسهم محسن إيڤا.

أخذ عصام الأسود البريد الالكتروني لصاحبة دار النشر وارسل لها مسـودة الروايـة لكـي تطبعهـا بعنـوان (البتـران) وباسـم مجهـول لأنـه اخبرها ان هذه هي وصية (محسن إيڤا).لأنه أراد ان يوصل معاناة هذه القرية المهمشة والمجهولة الى بقية العالم، ولن يهمه من يكتب الروايـة فقد كتبت بدماء ودموع أبنـاء هذه القريـة التـي مازالـت تعـاني المـوت حتى الان!

وصـلت الإجابـة الـى عصـام الأسـود مطلـع الثالـث مـن أكتـوبر 2026 بموافقة دار النشر علـى تبنـي الروايـة لطباعتهـا بشـرط مقابلـة صـاحبة الدار لشخصية عصـام الأسـود للتأكد مـن صـدق معلوماتـه والتأكد مـن موت صاحب الرواية محسن إيڤا....لم يجب عصـام الأسـود علـى هذه الرسالة، لكن الحكواتي ليلة الجمعة الماضية كان قد قص لـبعض رواد مقهى القرية أنهم دفنوا جثتين في تلك الليلة ..كانت لاثنين مـن مجـانين قرية البتران!

(6)

كانت أواخر عام 2026 حينما زارت قرية البتران منظمة إنسانية أمميــة ونشــرت قـوائم قتلــى حربــي 1980 و1990 وكــان الــرقم (00964) في القوائم يعود لاسم (محسن كريم محسن) ووضع بين قوسين بخط غامق (**محسن إيڤا**).

(لم تنتهِ الحكايةُ بعدُ)

ملخص السيرة الذاتية: (الدكتور حيدر علي الاسدي)

أولا: المعلومات الشخصية

أ.م.د. حيدر علي كريم شريدة الاسدي

اللقب العلمي: أستاذ مساعد دكتور

- الجنسية: عراقي

- استاذ جامعي واعلامي

- الحالة الاجتماعية: متزوج ولديه 3 بنات

- تولد 1/ 10 / 1987 في محافظة البصرة

الشهادة: دكتوراه ادب ونقد

هاتف: 07716475023 (وتساب)

- البريد الالكتروني:hayder.alasadi@buog.edu.iq

ثانياً: الشهادات الجامعية:

- شهادة البكالوريوس /فنون جميلة/ادب ونقد / للعام الدراسي 2024/2013 من جامعة البصرة/كلية الفنون الجميلة وكما مرفق في الوثيقة ذي العدد (637) في 18/ 10/2025.

- شهادة الماجستير/فنون جميلة/ ادب ونقد/ من جامعة البصرة/كلية الفنون الجميلة وفقا للأمر الجامعي 2/2/ 2017 والمرقم (3167).

- شهادة الدكتوراه من كلية الفنون الجميلة بجامعة البصرة وفقا للأمر الجامعي المرقم (2128) في 9/ 7/ 2024 بتخصص الفنون الجميلة/ ادب ونقد.

ثالثاً: الخبرة الوظيفية:

1- المعاون الإداري لكلية الإدارة الصناعية للنفط والغاز للمدة من 1/ 8/ 2024 ولغاية الان.

2- مقرر قسم إدارة وتسويق النفط والغاز ابتداء من 30/ 11/ 2020 ولغاية 8/11/ 2024.

3- مدير قسم الاعلام في رئاسة جامعة البصرة للنفط والغاز منذ 1/18/ 2017 ولغاية الان.

رابعاً: العضويات:

- عضو هيئة تحرير المجلة العلمية المحكمة (دراسات في الفن والفلسفة والادب) في المغرب.

- مدير تحرير مجلة (جويدي) الامريكية العلمية المحكمة.

- عضو هيئة تحرير في مجلة (سندباد) الخاصة بالطفولة والصادرة في البصرة.

- عضو نقابة الأكاديميين العراقيين.

- عمل في اعلام نقابة الأكاديميين فرع البصرة.

- عضو نقابة الصحفيين العراقيين - فرع البصرة.

- عضو نقابة الفنانين-فرع البصرة.

- عضو اتحاد الادباء والكتاب في البصرة.

- عضو الاتحاد الدولي للغة العربية.

- رئيس تحرير جريدة الجمان الصادرة عن قسم الاعلام والعلاقات العامة بجامعة البصرة للنفط والغاز

- معد لتقارير تلفزيونية لقناة الجامعية الفضائية / مكتب جامعة البصرة للنفط والغاز.

- اعلام كلية الهندسة (جامعة البصرة)

- مسؤول اعلام نقابة المهندسين فرع البصرة.

- عضو هيئة تحرير في صحيفة الأضواء المستقلة (محرر الصفحة الثقافية).

- ينشر في صحف ومجلات عراقية وعربية عربية ومنها : (القبس ، اخبار الخليج، مسرحنا ، المسرح، الحدث ، الصباح ، الزمان، الدستور، اوروك ، وغيرها).

خامساً: الجوائز والتكريمات الدولية:

- حاصل على قلادة عام 2009 وشهادة تقديرية عن موضوعه الصحفي الفائز في المسابقة التي أقامها بيت الصحافة في ذكرى تأسيسه السنوي.

- حاصل على جائزة المركز الثاني بمجال المقال في مسابقة النور للإبداع (دورة المفكر عبد الإله الصائغ) 2009

- اختير من قبل بيت الصحافة من أفضل ثلاثة صحفيين مبدعين لعام 2009

- حاصل على جائزة المركز الثاني في مسابقة قناة الكوثر الفضائية (رحمة للعالمين) من بين ثلاثة فائزين وكان النص المشارك قصة قصيرة جدا عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم).

- من ضمن الفائزين والمكرمين عن مسابقة القصة القصيرة (العراق بين زمنين) والتي اقامتها شبكة انباء العراق.

- حاصل على جائزة المركز الثاني في مسابقة القصة القصيرة التي نظمتها جمعية الفينيق الأدبي بصفاقس في تونس.

- حاصل على جائزة المركز الثالث للرواية في مصر عن روايته (الكومبارس) والمسابقة منظمة من قبل مجلة همسة المصرية.

- حاصل على تكريم وزارة الثقافة العراقية لعام 2012 كأحد المبدعين الحاصلين على جائزة دولية.

- تأهلت قصته (امراة ممسوسة بالعشق) للقائمة القصيرة لمسابقة القصة القصيرة التي نظمها مجلة شجون عربية في بيروت عام 2019 ونالت القصة جائزة المركز السادس.

- حاصل على جائزة المركز الثاني في مجال القصة القصيرة في مصر لعام 2019 عن قصته (نساء من ورق).

- حاصل على جائزة أفضل كتاب نقدي لعام 2019 في مصر عن كتابه (تداخل الاجناس الادبية وأثرها الجمالي في النص المسرحي العربي).

- فازت مجموعته القصصية (ليلة في الجحيم) بجائزة المركز الخامس عربي في مسابقة دار الياسمين للنشر والتوزيع (مصر).

- فازت مقالته النقدية (تداخل الاجناس الادبية وتفكيك الجنس والنوع) بجائزة المركز الثاني ضمن حقل المقال النقدي في المسابقة الادبية السنوية الثالثة التي نظمها اتحاد الادباء الدولي 2019.

- اختير عام 2020 كأحد أفضل 100 شخصية في البصرة.

-نال جائزة أفضل اصدار بحثي في ثقافة الطفل عن جائزة محترف ميسان لثقافة وفنون الاطفال 2021

- نال جائزة أفضل ناقد شاب لعام 2021 في البصرة خلال المهرجان الذي نظمته اللجنة الأدبية في محافظة البصرة وبالتعاون مع منظمة قيادات للتنمية والتطوير.

- نال عام 2023 جائزة أفضل بحث علمي في المؤتمر العلمي الذي اقامته كلية الفنون الجميلة في جامعة البصرة وحاز على المرتبة الأولى عن بحثه (الازمات الاقتصادية في النص المسرحي العالمي).

- نال عام 2024 جائزة أفضل نص مسرحي للأطفال في مهرجان مسرح الطفل العربي في الاردن عن مسرحيته (سعدان ونعسان) التي تدعم موضوع الحفاظ على البيئة.

سادساً: الإصدارات والمؤلفات:

صدر للباحث مؤلفات ودراسات وهي:

1-كتاب (الاعلام الاقتصادي ودوره في تنشيط اقتصاديات البلدان) عام 2019 عن دار أمجد للنشر والتوزيع في الاردن وبرقم اعتماد دولي.

2-كتاب نقدي (دراسات في نقد القصة والرواية والمسرح والشعر)

3-كتاب دراسات (تداخل الاجناس الادبية وأثرها الجمالي في النص المسرحي العربي) عام 2019 عن دار أمجد للنشر والتوزيع في الاردن وبرقم اعتماد دولي.

4-أريج: وهي قصة شبابية هادفة

5-بكائيات المطر: مجموعة قصص قصيرة جداً

6-الكومبارس: رواية قصيرة –الرواية الفائزة في مصر

7-كتاب (قراءة مغايرة في السيرة العطرة: قراءة مختارة عن صورة النبي في الخطاب الفلسفي- الشعري- الفني).

8-كتاب (خصوصية التأليف لمسرح الطفل في الوطن العربي).

9-طرق ابواب الازمة (دراسات نقدية في المسرح) طبع في دار النيل والفرات للنشر في مصر.

10- كتاب نقدي بعنوان (البصرة ايقونة الجمال السرمدي: قراءات في المسرح والسرد والشعر) الصادر عن دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع في سوريا ضمن إصدارات اتحاد الادباء والكتاب في البصرة.

11- صخب الموت ومسرح ما بعد الكارثة- قراءات في نصوص وعروض علي العبادي المسرحية. (صدر في الأردن)

12- الازمات في الفكر الفلسفي والدراسات الثقافية) صدر في الأردن.

13- إدارة الازمات وتمثلاتها في الخطاب المسرحي العالمي (صدر في الأردن)

14- كتاب (مفهوم إدارة الازمات في الفكر الإداري المعاصر) صدر في الأردن.

15- كتاب مجموعة مسرحية (سعدان ونعسان) صدر في الأردن.

16- كتاب دراسات ومقالات : الثقافة والعلوم المجاورة (نحو تجسير الثقافة بالمعارف الاخرى).صدر في الأردن.

سابعاً: النشاطات في الدورات:

- محاضر مستمر في دورات التعليم المستمر في دورات (السلامة اللغوية في المخاطبات الرسمية) و(اساسيات الصحافة) (فن الاتيكيت) وكذلك (السلامة النفسية في بيئات العمل).

- حاصل على شهادة في دورة (طرائق التدريس) من الجامعة التقنية الجنوبية.

- حاصل على شهادة مدرب TOT.

- عضو لجنة اختبار صلاحية التدريس في الجامعة التقنية الجنوبية (للتخصصات الإنسانية).

- قدم عشرات الدورات في المؤسسات الحكومية والأهلية ومؤسسات المجتمع في مختلف الموضوعات التنموية والثقافية والفكرية.

- محاضر في الدورات الاعلامية التي تقيمها المنظمات والصحف في موضوعات (الخبر الصحفي، القصة الصحفية، الاعداد التلفزيوني).

ثامناً: اللجان في المهرجانات الثقافية والفنية:

- عضو اللجنة النقدية في المهرجان المسرحي الاول الخاص بالأقضية والنواحي في البصرة والذي نظمته نقابة الفنانين في البصرة.

- عضو اللجنة الاعلامية والتنظيمية في مهرجان المسرح المدرسي الثالث الذي نظمه قسم التربية الفنية في كلية الفنون الجميلة.

- عضو اللجنة الاعلامية والتنظيمية في مهرجان مسرح الدمى والعرائس الثاني الذي نظمه قسم التربية الفية في كلية الفنون الجميلة.

- عضو اللجنة الاعلامية والتنظيمية في مهرجان مسرح الدمى والعرائس الدولي الالكتروني عام 2020 الذي نظمته كلية الفنون الجميلة (جامعة البصرة).

- اضافة الى عضوية العديد من المؤتمرات والندوات والنشاطات العلمية والفنية في الجامعة وخارج الجامعة.

تاسعًا: البحوث العلمية والمشاركات العلمية:

*** نشر العديد من البحوث العلمية في المجلات العلمية المحكمة المحلية والعالمية ومنها :**

- تمثلات الكروتيسك في نصوص مسرح الطفل/مسرحية الصبي الطائر أنموذجًا.
- دور نصوص مسرح الدمى في تنمية القاموس اللغوي للأطفال (فارس المشاكس والورقة العجيبة أنموذجًا).

- تيار الوعي وتمظهراته في النص المونودرامي العراقي/بقعة زيت اختياراً.

- صورة المجتمع الزنجي في الادب المسرحي العالمي - مسرحية الظباء لهنينغ مانكل اختياراً.
- مناهضة العنف ضد المرأة في النص المسرحي – اهداف ضرورية لايف آنسلر اختيارًا.
- المقاومة الثقافية وتمثلاتها في النص المسرحي العالمي: 99 بالمائة الخوف والبؤس في الرايخ الثالث لبرتولد بريخت.

-الفساد الاداري والمالي وتمثلاته في النصوص المسرحية: رأس الشليلة ليوسف العاني اختيارًا.
-الذكاء الاصطناعي ودوره في توليد النصوص المسرحية.
- المسرح الحسيني وتجاذب الانتماء (نحو درامية التأرخة)/ الحسين كما نراه اختياراً.

-الأزمة السياسية وانعكاساتها في الخطاب المسرحي العالمي.

- Managing Economic Crises in the Global Theatrical/Towers and the Wind" by Thysser Renkhevo as a Case Study

*** ساهم بالخبرة العلمية عبر المنظومة الالكترونية لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي بتقييم العديد من الرسائل والأطاريح في مختلف جامعات العراق ، كما ساهم بعضوية مناقشة رسائل ماجستير ودكتوراه في البصرة وبقية المحافظات، فضلًا عن تقييم البحوث العلمية للمجلات العلمية المحكمة في العراق.**